المكتبة القبطية على الانترنت
http://copticlibrary.110mb.com

البابا شنوده الثالث

تأملات في

أسبوع الآلام

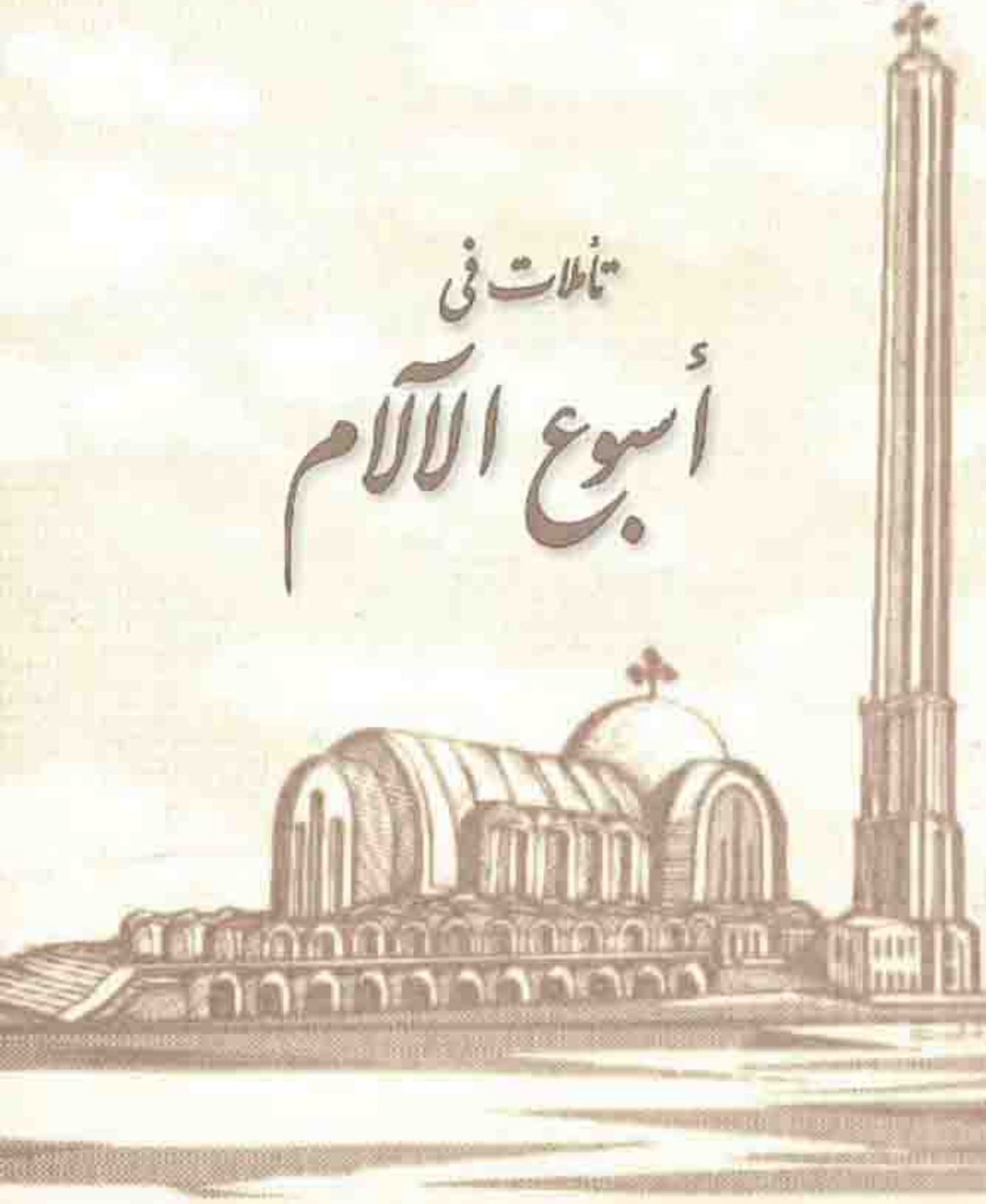

قداسة البابا المعظم الأنبا شنوده الثالث

مقدمـــة

كثيرة هى المحاضرات التى ألقيناها فى منطقة الأنبا رويس خلال العشرين عاماً الماضية، عن أسبوع الآلام. نشرنا لك أجزاء منها فى أربعة كتب من قبل هى: تسبحة البصخة (لك القوة والمجد)، وكلمات المسيح على الصليب، وخميس العهد، والجمعة الكبيرة. مع كتابين آخرين نفذا ولم نقم بإعادة طبعهما هما: المسيح المتألم، وآلام المسيح وقيامته.

ونحب اليوم أن نقدم لك هذا الكتاب عن آلام المسيح، وبخاصة فى الأيام الأولى من البصخة من أحد السعف إلى خيانة يهوذا.

وقد نشرنا لك فيه ١٢ محاضرة تقريباً هى:

١ - محاضرة عن أسبوع الآلام ..... يوم جمعة ختام الصوم سنة ١٩٧٠.
٢ - تأمل فى آلام المسيح ..... يوم ٢١ / ٣ / ١٩٨٠.
٣ - البصخة أيام مقدسة ..... فى الدير يوم ٨ / ٤ / ١٩٨٢.
٤ - كيف نستفيد من البصخة المقدسة .. جمعة ختام الصوم ١٩٨١/٤/١٧.
٥ - بيت عنيا وشجرة التين ..... إثنين البصخة سنة ١٩٧٢.
٦ - محاضرات عن الآلام ..... فى أواخر الستينات.
٧، ٨ - محاضرتان عن خارج المحلة ..... ١٩٧٢/٤/٢، ١٩٧٣/٤/٢٠.
٩، ١٠ - محاضرتان يوم أحد الشعانين .. ١٩٧٩/٤/١٦، شعانين ١٩٧٧.
١١ - شركة آلامه ..... عشية الثلاثاء ١٩٧٩/٤/١٧.
١٢ - الخيانة وقبلة يهوذا ..... عشية أربعاء البصخة ١٩٧٢.

وقد رتبناها معاً لتصدر فى هذا الكتاب. ونرجو أن نجمع كل الكتب التى نشرناها فى هذا الموضوع مع إضافات أخرى لتصدر فى مجلد واحد عن أسبوع الآلام.

بركة هذه الأيام المقدسة تكون مع جميعكم ،،،

شنوده الثالث

صفحة

أهمية هذا الأسبوع ٧
كيف بدأ هذا الأسبوع ١٣
تأمل فى آلام المسيح ١٥
كيف نستفيد من أسبوع البصخة ٢٣
خارج المحلة ٣٥
مبدأ خارج المحلة ٣٧
خارج المحلة فى الأبدية ٤٢
خرج هو ، ليدخلنا نحن ٤٤
سبت النور ، وأحد الشعانين ٤٧
أحد الشعانين ٥٠
خلاف فى معنى الملك ٥٠
المسيح ملك ٥٣
تطهير الهيكل من الباعة ٥٥
تطهير الهيكل من القيادات ٥٧
بيت عنيا ٦٢
شجرة التين ٦٨
الخيانة وقبلة يهوذا ٧١
أربعاء أيوب ٧٩

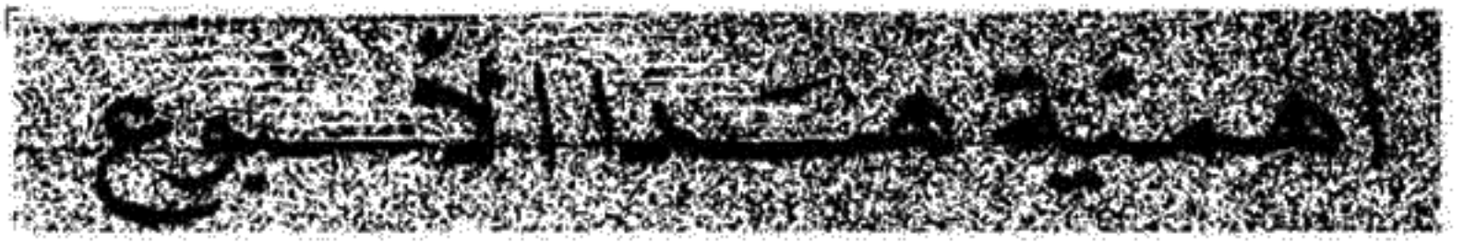

أسبوع الآلام هو أقدس أيام السنة ، وأكثرها روحانية ...

هو أسبوع مملوء بالذكريات المقدسة فى أخطر مرحلة من مراحل الخلاص ، وأهم فصل فى قصة الفداء .

وقد اختارت الكنيسة لهذا الأسبوع قراءات معينة من العهدين القديم والحديث ، كلها مشاعر وأحاسيس مؤثرة للغاية توضح علاقة الله بالبشر. كما اختارت له مجموعة من الألحان العميقة ، ومن التأملات والتفاسير الروحية .

ويسمونه أسبوع الآلام ، أو أسبوع البصخة المقدس ، أو الأسبوع المقدس .

فى اللغة الإنجليزية يقولون عنه The Holy Week (الأسبوع المقدس) ، وكل يوم فيه هو أقدس يوم بالنسبة إلى إسمه فى السنة كلها .

فيوم الخميس مثلاً يسمونه The Holy Thursday أى الخميس المقدس .

و يوم الجمعة يسمونه The Holy Friday أى الجمعة المقدسة ، وهكذا ...

كان هذا الأسبوع مكرساً كله للعبادة ، يتفرغ فيه الناس من جميع أعمالهم ، ويجتمعون فى الكنائس طول الوقت للصلاة والتأمل .

كانوا يأخذون عطلة من أعمالهم ، ليتفرغوا للرب ولتلك الذكريات المقدسة . ولا يعملون عملاً على الإطلاق سوى المواظبة على الكنيسة والسهر فيها للصلاة ، والإستماع إلى الألحان العميقة والقراءات المقدسة ...

ما أكثر الناس الذين يأخذون عطلة فى الأعياد والأفراح ، وفى قضاء مشاغلهم . ولكن ما أجل أن نأخذ عطلة لنقضيها مع الله فى الكنيسة .

الملوك والأباطرة المسيحيون كانوا يمنحون عطلة فى هذا الأسبوع .

كانوا يمنحون جميع الموظفين فى الدولة عطلة ليتفرغوا للعبادة فى الكنيسة خلال أسبوع الآلام . وقيل إن الإمبراطور ثيئودوسيوس الكبير كان يطلق الأسرى والمساجين فى هذا الأسبوع المقدس ليشتركوا مع باقى المؤمنين فى العبادة ، لأجل روحياتهم وتكوين علاقة لهم مع الله . ولعل ذلك يكون تهذيباً لهم وإصلاحاً .

وكان السادة أيضاً يمنحون عبيدهم عطلة للعبادة .

فإن كان الوحى الإلهى قد قال عن اليوم المقدس « عملاً من الأعمال لا تعمل فيه » ، فإنه قال أيضاً « لا تصنع عملاً ما ، أنت وإبنك وإبنتك ، وعبدك وأمتك وبهيمتك ،

ونزيلك الذى داخل أبوابك » (خر ٢٠ : ١٠) . حقاً إن عبدك وأمتك لهما أيضاً حق فى أن يعبدا الله مثلك ، وأن يشتركا فى قدسية تلك الأيام .

من حق الخدم أن يتفرغوا أيضاً من أعمالهم لعبادة الرب . وهكذا حتى فى أعمق أيام الرق ، لم تسمح الكنيسة بأن تكون روحيات السادة مبنية على حرمان العبيد . بل الكل للرب ، يعبدونه معاً ، و يتمتعون معاً بعمق هذا الأسبوع وتأثيره ...

وقوانين الرسل - فى أيام الرق - كانت تحتم أن يأخذ العبيد أسبوع عطلة فى البصخة المقدسة ، وأسبوعاً آخر بمناسبة القيامة .

فهل أنت تعطل خدمك وموظفيك خلال أسبوع الآلام ؟

ومن المعروف طبعاً ، أن الناس إن تفرغوا للعبادة فى هذا الأسبوع ، وعاشوا خلاله فى نسك ، فسوف لا يحتاجون إلى خدم يخدمونهم .

وكانت مظاهر الحزن واضحة تماماً فى الكنيسة .

أعمدة الكنيسة ملفوفة بالسواد . الأيقونات أيضاً مجللة بالسواد . وكذلك المانجليا ، وبعض جدران الكنيسة ...

الألحان حزينة . القراءات عن الآلام وأحداث هذا الأسبوع . المؤمنون جميعاً بعيدون عن كل مظاهر الفرح .

السيدات تحرم عليهن الزينة خلال هذا الأسبوع .

فلا يلبسن الحلى ، ولا يتجملن ، ولا يظهر شىء من ذلك فى ملابسهن .

الحفلات طبعاً كلها ملغاة . الكنيسة كلها فى حزن ، وفى شركة آلام المسيح ، كما سنشرح فيما بعد .

فهل نحن نحتفظ بهذا الحزن المقدس خلال هذا الأسبوع ؟

أو على الأقل هل نحتفظ بوقارنا فيه ؟ أم نحن نقضى أوقات كثيرة منه فى عبث ومرح ولهو . ونكون خارج الكنيسة فى وضع يختلف عن وضعنا داخل الكنيسة ؟!

وكانت الكنيسة فى هذا الأسبوع تعيش فى نسك شديد .

بعض النساك كانوا يظلون الأسبوع كله . أو يظلون ثلاثة أيام و يأكلون أكلة واحدة . ثم يظلون الثلاثة أيام الباقية .

وكثير من المؤمنين كانوا لا يأكلون شيئاً من الخميس مساء حتى قداس العيد .

وغالبيتهم كانوا لا يأكلون فى أسبوع الآلام سوى الخبز والملح فقط وإن لم يستطيعوا ،

فالخبز والدقه . أما الضعفاء ، فعلى الأقل كانوا لا يأكلون شيئاً حلو المذاق من الطعام الصيامى كالحلوى والمرى والعسل مثلاً .

لأنه لا يليق بهم أن يأكلوا شيئاً حلواً وهم يتذكرون آلام الرب لأجلهم . كما كانوا لا يأكلون طعاماً مطبوخاً ، بسبب النسك من جهة ، ولكى لا يشغلهم إعداد الطعام عن العبادة من جهة أخرى . وفى كل هذا النسك كانوا يذكرون آلام السيد المسيح .

غالبية الأسرار كانت تعطل ماعدا سرى الإعتراف والكهنوت .

ما كانوا يمارسون المعمودية ولا الميرون فى أسبوع الآلام ، وما كان يرفع بخور ولا تقام قداسات ، إلا يوم خميس العهد وسبت النور . وطبعاً من الإستحالة ممارسة سر الزواج .

وسر مسحة المرضى ، كانت تقام صلواته فى جمعة ختام الصوم ، قبل أسبوع الآلام . ولم تكن تقام صلوات تجنيز فى هذا الأسبوع . ومن ينتقل فيه ، لا يرفع عليه بخور ، بل يدخل جثمانة إلى الكنيسة ويحضر صلوات البصخة ، و يقرأ عليه التحليل مع صلاة خاصة .

وصلوات الأجبية كانت تعطل فى أسبوع الآلام .

و يستعاض عنها بتسبحة البصخة . وذلك لأن صلوات الأجبية تقدم لنا مناسبات متعددة ، ونحن نريد أن نتفرغ لآلام المسيح فقط ...

فمثلاً صلاة باكر ، نتذكر فيها ميلاد المسيح ، وصلاة نصف الليل نتذكر فيها مجيئه الثانى ، وصلاة الساعة الثالثة نتذكر فيها حلول الروح القدس ... ونحن نريد فى هذا الأسبوع أن نركز على آلام المسيح فقط . وحتى صلاة السادسة التى تذكرنا بصلبه ، وصلاة الساعة التاسعة التى تذكرنا بموته ، نؤجلها إلى يوم الجمعة الكبيرة ، لأننا نريد أن نتتبع المسيح فى هذا الأسبوع خطوة خطوة .

ومن جهة المزامير ننتق منها فى هذا الأسبوع ما يناسب .

ونترك باقى مزامير الأجبية التى تشمل معانى كثيرة غير الآلام وغير أحداث هذا الأسبوع المقدس .

لماذا سمى هذا الأسبوع بأسبوع البصخة ؟

كلمة بصخة معناها فصح Passover ومأخوذة من قول الرب فى قصة الفصح الأول « لما أرى الدم ، أعبر عنكم » (خر ١٢ : ١٣) .

كان النجاة بواسطة الدم فى يوم الفصح الأول . والفصح يرمز إلى السيد المسيح « لأن فصحنا أيضاً المسيح قد ذبح لأجلنا » (١ كو٥ : ٧) .

ونحن فى هذا الأسبوع نذكر آلام السيد المسيح الذى قدم نفسه فصحاً لأجلنا ، لكى حينما يرى الآب دم هذا الفصح يعبر عنا سيف المهلك ، فلا نهلك .

نتذكر أن سفك دمه كان عوضاً عنا . وأنه لا خلاص إلا بهذا الدم ، كما حدث يوم الفصح الأول (خر١٢) .

إنها أيام مقدسة

أيام البصخة هى أيام مقدسة ، أو هى أقدس أيام السنة . فما الذى نقصده بأنها أيام مقدسة ؟

المفروض طبعاً أن كل أيام حياتنا مقدسة ...

وفى كل يوم يمر علينا ، نصلى فى صلاة الشكر قائلين : « إحفظنا فى هذا اليوم المقدس وكل أيام حياتنا بكل سلام... » . نقول هذا فى كل يوم من أيام حياتنا ، لأن حياتنا التى اشتراها الرب بدمه ، أصبحت حياة مقدسة ، قدسها الرب بهذا الدم . ومع ذلك...

لا ننكر أن هناك أياماً مقدسة أكثر من غيرها ...

ولعل أول إشارة لذلك هى تقديس يوم للرب كل أسبوع . وعن ذلك يقول الكتاب فى قصة الخليقة « وبارك الرب اليوم السابع وقدسه » (تك ٢ : ٣) . ثم أمر الإنسان قائلاً « أذكر يوم السبت لتقدسه » (خر ٢٠ : ٨) ، « إحفظ يوم السبت لتقدسه » (تث ٥ : ١٢) .

إنه يوم الرب ، يوم مقدس .

يوم باركه الرب وقدسه ، وطلب إلينا أيضاً أن نقدسه ... يسمونه فى اليونانية (كيرياكى) أى الخاص بالرب ، أى يوم الرب ...

هو يوم مخصص للرب ، لا نعمل فيه عملاً من الأعمال حسب الوصية . وكذلك فى كل الأيام المقدسة التى أشار إليها الرب (لا ٢٣) ...

إنها أيام لها قداسة غير عادية ، ليست كباقى الأيام .

الحياة كلها مقدسة . ولكن أيام الرب لها قداسة غير عادية ، تفوق قداسة باقى الأيام... لأنها مخصصة للرب... هناك أوقات لها قدسية خاصة ، لاعتبارات روحية معينة .

فمع أن الحياة كلها مقدسة ، لكن أوقات الصلاة مثلاً ، أوقات التأمل ، أوقات الرؤى

والإستعلانات ... هى أوقات لها قدسية من نوع خاص غير عادى ...

وهناك أيام مقدسة فى حياة كل إنسان .

فاليوم الذى ظهر فيه الرب لشاول الطرسوسى (أع ٩) ، هو يوم له قدسية خاصة . واليوم الذى رأى فيه القديس يوحنا الحبيب رؤياه التى سجلها فى سفر خاص ، هو أيضاً يوم له قدسية خاصة . وأيام الأعياد كذلك لها قدسيتها . وكذلك أيام الصوم ... هى أيام غير عادية .

وإن كانت أيام الصوم الكبير هى أقدس أيام السنة ، وأسبوع البصخة هو أقدس أيام الصوم الكبير، يمكننا إذن أن نقول :

إن أسبوع البصخة هو أقدس أيام السنة .

الصوم فيه فى أعلى درجات النسك أكثر من أى صوم آخر. والعبادة فيه على مستوى أعمق ، حيث يجتمع المؤمنون معاً فى الكنيسة طوال الأسبوع يرفعون الصلوات بروح واحدة ، و يستمعون إلى قراءات منتخبة من العهدين القديم والجديد ، مع ألحان لها تأثير خاص ، وطقس كنسى ينفرد به هذا الأسبوع المقدس .

وذكريات هذا الأسبوع عميقة فى تأثيرها ، نتبع فيها السيد المسيح خطوة خطوة ، ونحن نرتل له تسبحة البصخة المعروفة « لك القوة والمجد والبركة والعزة إلى الأبد آمين ، ياعمانوئيل إلهنا وملكنا » ...

والمشاعر الروحية فى هذا الأسبوع ، لها عمقها الخاص .

الناس يكونون فيه أكثر حرصاً وتدقيقاً وجدية ، وأكثر تفرغاً لله . طبعاً التفرغ الكامل هو الوضع الأساسى . فإن لم يتوفر، يتفرغ الإنسان على قدر إمكانه ، و يعطى الوقت لله ...

إنه أسبوع ندخل فيه فى شركة آلام المسيح .

نضع أمامنا كل آلامه من أجلنا ، فى انسحاق قلب ، وفى توبة صادقة ، لكى نستعد للتناول فى يوم الخميس الكبير، اليوم الذى أعطى فيه الرب عهده المقدس لتلاميذه الأطهار، وأسس هذا السر العظيم ...

هنا ونريد أن نسأل : كيف بدأ هذا الأسبوع ؟

كيف بدأ هذا الأسبوع

آلام المسيح بدأت منذ مولده .

منذ فكر هيرودس الملك فى قتله ، وقام بقتل جميع أطفال بيت لحم لعله يكون من بينهم ، واضطرت العذراء أن تهرب بطفلها إلى مصر... وخدمة السيد المسيح كانت محفوفة بالألم منذ البدء ومؤامرات الكتبة والفريسيين ضده شملت خدمته كلها ، وكذلك حسد الكهنة وشيوخ الشعب له .

وكم من مرة حاولوا أن يقتلوه ولم يستطيعوا .

ذلك لأن ساعته لم تكن قد أتت بعد . ومتى أتت تلك الساعة ؟ أتت حينما أسلم ذاته ليفدى العالم .

على أن خيوط المؤامرة ضده بدأت حينما فكروا فى قتله جدياً يوم الأحد ، ثم دفعوا الثمن ليهوذا يوم الأربعاء . وقبضوا على الرب مساء الخميس (عشية الجمعة) .

وسنحاول أن نتتبع القصة معاً ، لنرى كيف بدأت المؤامرة :

١ ـ شعبية السيد المسيح أثارت حسد قادة اليهود .

كان السيد المسيح محبوباً جداً من عامة الشعب . كانت تتبعه الآلاف وتزحمه ، مبهوتة من تعليمه ومن معجزاته ... أما قادة اليهود فحسدوه على هذا الحب . وأرادوا أن يفضوا الناس من حوله ، بأن يقولوا لهم إن معجزاته ليست من الله ، وإنه إنسان خاطىء ، وإنه ببعلزبول يخرج الشياطين ، وإنه ينقض الناموس بتعليمه ... وفشل القادة ، وبقى الشعب مع المسيح .

٢ ـ ثم أقام المسيح لعازر يوم السبت .

وكانت معجزة جبارة تختلف عن إقامته إبنة يايرس وهى على فراش الموت ، وتختلف عن إقامته لإبن أرملة نايين وهو فى نعشه . ذلك لأن لعازر كانت قد مرت عليه أربعة أيام فى موته حتى قيل عنه إنه « قد انتن » (يو ١١ : ٣٩) . وأحدثت المعجزة دوياً جباراً . وكثيرون آمنوا به بسبب هذه المعجزة (يو ١١ : ٤٥) .

٣ ـ وسبق إقامة لعازر فتح عينى المولود أعمى .

وأيضاً كانت معجزة لم تحدث من قبل كما يبدو من قول هذا الأعمى لليهود « منذ

الدهر لم يسمع أن أحداً فتح عيني مولود أعمى » (يو٩ : ٣٢) . وبدأ قادة اليهود يستخدمون السلطة ، فأخرجوا هذا الرجل خارج المجمع « وكانوا قد تعاهدوا أنه إن اعترف أحد بأنه المسيح يخرج من المجمع » (يو٩ : ٣٤ ، ٢٢) .

وفى موت لعازر تذكر الناس هذه المعجزة « فقال بعض منهم : ألم يقدر هذا الذى فتح عينى الأعمى أن يجعل هذا أيضاً لا يموت » (يو١١ : ٣٧) .

٤ ـ وبعد إقامة لعازر ، عقدوا مجمعاً ضد المسيح .

« جمع رؤساء الكهنة والفريسيين مجمعاً . وقالوا ماذا نصنع فإن هذا الإنسان يعمل آيات كثيرة . إن تركناه هكذا يؤمن الجميع به ، فيأتى الرومانيون و يأخذون موضعنا وأمتنا » . وقال قيافا رئيس الكهنة « خير لنا أن يموت إنسان واحد عن الشعب ، ولا تهلك الأمة كلها » (يو١١ : ٤٦ـ٥٠) .

وواضح أن التهمة باطلة ، لأن معجزات المسيح لم تكن تؤدى إلى هلاك الأمة أو حكم الرومان ، فالرومان كانوا يحكمون فعلاً . وبيلاطس كان والياً رومانياً . إذن كانت إقامة لعازر ونتائجها من الخطورة بحيث عقد لها قادة اليهود مجمعاً . وقيل بعده « فمن ذلك اليوم تشاوروا ليقتلوه » ، بل حاولوا قتل لعازر أيضاً .

٥ ـ ثم جاء يوم الأحد . وقادة اليهود متحفزون لقتله واستقبال الشعب له كملك يثيرهم عليه أكثر.

هتف له الشعب قائلين « مبارك الآتى باسم الرب ، ملك إسرائيل » (يو ١٢ : ١٣) . وشعر قادة اليهود بهذا أن رئاستهم للشعب قد فلتت من أيديهم .

وظهر تصميم اليهود على قتله حسداً منهم ، إذ « قال الفريسيون بعضهم لبعض « أنظروا أنكم لا تنفعون شيئاً . هوذا العالم قد ذهب وراءه » (يو١٢ : ١٩) .

٦ ـ وماذا عن الشعب الذى كان يحب المسيح ؟

كيف أمكن أن يتحول حتى يصل إلى الوضع الذى يقول فيه لبيلاطس « أصلبه أصلبه » بينما كان ينادى بالمسيح ملكاً . حدث هذا لأن المسيح رفض الملك الأرضى لأنه يقول « مملكتى ليست من هذا العالم » (يو١٨ : ٣٩) .

وهكذا ضاعت آمال الناس فى مملكة داود الآتية التى هتفوا بمجيئها يوم أحد الشعانين . وأمكن لرؤساء اليهود أن يستقطبوا هذا الشعب أيضاً إلى جانبهم ...

٧ ـ أما السيد المسيح فشعر أن الساعة قد اقتربت وبدأ يمارس سلطاناً يحقق الموت الذى يريده . فطهر الهيكل مما أثارهم ، ووبخ قيادات اليهود .

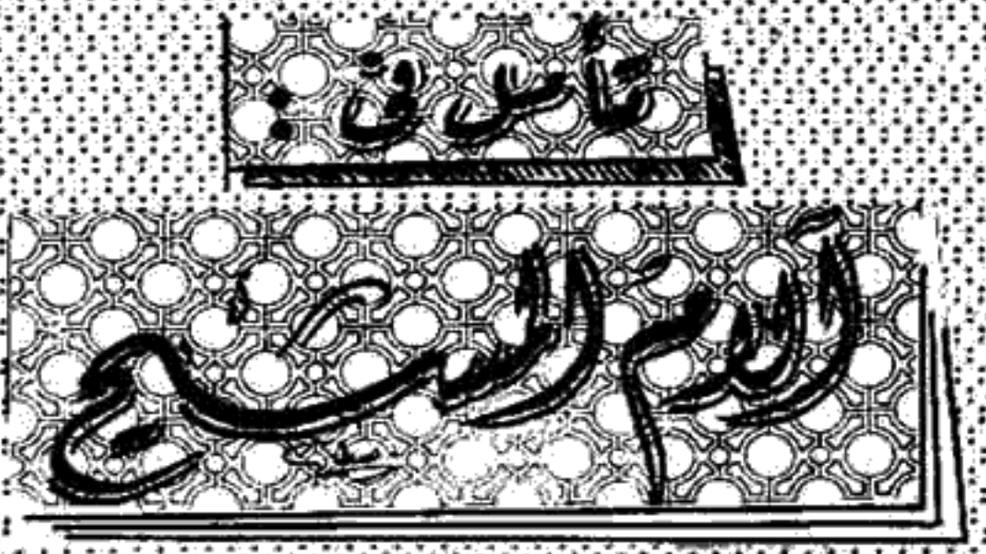

محاضرة ألقيت بالكاتدرائية المرقسية الكبرى بالقاهرة يوم الجمعة
الموافق ٢١/٣/١٩٨٠

من أنفع الأشياء لنا فى حياتنا الروحية ، أن نتأمل فى الألم عموماً ، وفى آلام المسيح بوجه خاص .

التأمل فى الألم ، يرفع النفس إلى فوق .

يرفعها فوق مستوى المادة والعالم ، ويدخلها فيما هو أرقى من الأرضيات ... ولذلك فإن الإنسان فى حالة الألم ، تكون نفسه أقوى ، وروحياته أعمق . وكثيراً ما نرى الإنسان فى ألمه متجرداً من حب العالم .

فى حالة البهجة ربما يشعر الإنسان المسرور أن العالم معه . أما فى حالة الألم فيكون العالم خلفه ، وقد اختفت محبة العالم من قلبه .

لذلك سهل على المريض أن يقترب إلى الله .

المريض المتألم يقبل الحديث عن الله ، ويحب أن يصلى ، ويطلب أن يصلى الناس من أجله . وكلمة (الله) تتردد كثيراً على فمه ، أكثر مما فى حالة صحته ...

ونفس الوضع بالنسبة إلى الإنسان الحزين ، الذى هو فى ضيقة أو إشكال ، أو الذى توفى له أحد أحبائه ... فى مثل هذا الحزن ، تجد القلب بعيداً عن شهوات العالم ، بعيداً عن التعلق بالمادة ، وزاهداً فى شهوة الجسد .

وربما لفائدة الألم روحياً ، سمح الله به .

سمح به لأنه نافع للروح ، إذا سلك فيه الإنسان بحكمة .

والذين يزورون المقابر ، يستفيدون من مجرد النظر إلى مكان الموت ، ومن تذكر الموت والألم ، وتذكر فقد الأصحاب والأحباء . كل ذلك يعطيهم عمقاً فى فهمهم وفى روحياتهم .

وقصص الإستفادة من الموت كثيرة فى سير القديسين .

القديس العظيم الأنبا أنطونيوس إستفاد درساً روحياً من موت أبيه . كما أنه فى سنوات رهبنته الأولى سكن فى مقبرة .

والقديس مقاريوس الكبير ، كان أحياناً يحتفظ بجمجمة ، ويتوسد عليها وهو نائم .

مجرد ذكر الموت ينفع قلب الرجل الحكيم . فكم بالأولى تكون قصة موت السيد المسيح ، وما سبقها من آلام . ولذلك فالمصلون يكونون فى أسبوع الآلام أكثر روحانية .

إن الآلام هى العمق الأول الذى نتأمل فيه فى حياة السيد المسيح .

ولما اختارت المسيحية شعاراً لها ، إختارت الصليب رمز الألم .

هذا الذى كان فيه عمق الآلام الجسدية بالنسبة للمسيح ، والذى له تأثير فى النفوس أكثر من أية صورة أخرى لأحداث حياة رب المجد... لا شك أن كل موقف فى حياة المسيح ، وكل حدث ، له تأثيره . ولكن صورة الصلب هى أكثر الكل تأثيراً...

قيل إن المهاتما غاندى الزعيم الهندى المعروف ، وهو براهمى فى عقيدته ، لما وقف أمام صورة المسيح مصلوباً ، تأثر وبكى .

وقد ركز ملاك القيامة على عبارة : يسوع المصلوب .

فقال للمرءتين « إنكما تطلبان يسوع المصلوب . ليس هو ههنا لكنه قام كما قال » (متى ٢٨ : ٥ ، ٦) . فسماه المصلوب حتى بعد قيامته . وبقيت هذه الصفة ملازمة له . فيقول بولس الرسول « لأن فصحنا المسيح ذبح لأجلنا » (١ كو ٥ : ٧) . وقال عنه القديس يوحنا فى رؤياه « خروف قائم كأنه مذبوح » (رؤ ٥ : ٦) . وقال إنه سمع الملائكة تقول بصوت عظيم « مستحق هو الخروف المذبوح أن يأخذ القدرة... والمجد والكرامة » (رؤ ٥ : ١٢) . وهكذا نرى أنه :

حدث تركيز على آلام المسيح ، حتى فى سفر الرؤيا .

ويبدو من هذا أن آلام السيد له المجد ، هى موضع تأمل السمائيين أيضاً ، وليس سكان الأرض وحدهم . وهذه الآلام - كما سجلها الكتاب - لم تكن قاصرة فقط على أحداث الصلب ، إنما شملت أحداثاً كثيرة فى حياته على الأرض .

سجل له الكتاب أنه بكى أكثر من مرة .

بكى عند قبر لعازر (يو ١١ : ٣٥) .

وبكى على أورشليم « نظر إلى المدينة وبكى عليها » (لو ١٩ : ٤١) ، ذاكراً الآلام التى ستتعرض لها هذه المدينة فيما بعد .

إن العالم لم يجمع دموع المسيح فى زق عنده .

ولكن يكفى أن الإنجيل حفظ لنا هذه الأخبار التى تظهر لنا أن المسيح من جهة طبيعته الإنسانية كان رقيقاً وحساساً وعاطفياً ، ويتأثر من آلام الناس - كأفراد - ويبكى عليها . كما يتأثر بآلام الجماعات - كالمدن - ويبكى عليها .

ترى لماذا بكى عند قبر لعازر ؟

هل تأثر ببكاء وحزن مريم ومرثا ؟ جائز . أم هل لأنه كان يحبه ؟ جائز أيضاً . ولكن هناك معنى أعمق . لعله بكى على البشرية التى أوصلتها الخطية إلى الموت ،

فلولا ذلك ما مات لعازر كما مات باقى الناس. وأيضاً لأن البشرية التى خلقت على صورة الله ومثاله، وصلت إلى هذا المصير الذى تقول فيه أخت عن أخيها المحبوب إنه «قد أنتن».

إنها خطية الإنسان الأول التى جرت إلى كل هذه النتائج: الموت، والنتن، وانحلال الجسد، وبكاء الأقارب والأصحاب. والسيد المسيح حينما بكى عند قبر لعازر، كان كل ذلك أمام عينيه.

وكان لعازر يمثل البشرية المنهارة التى تموت وتنتن.

رزحت البشرية تحت أثقال كثيرة من الآلام والأحزان والأوجاع والمتاعب، حتى تحنن عليهم الرب «إذ رآهم منطرحين ومنزعجين كغنم لا راعى لها» (متى ٩: ٣٦). وقال لهم «تعالوا إلىّ يا جميع المتعبين والثقيلى الأحمال وأنا أريحكم» (متى ١١: ٢٨). لقد شاركهم قلبياً فى آلامهم. ولكن كيف أراحهم؟ لقد أراحهم عملياً.

فكما حمل خطاياهم، هكذا حمل أحزانهم وأوجاعهم.

وفى ذلك يقول أشعياء النبى «لكن أحزاننا حملها، وأوجاعنا تحملها... وهو مجروح لأجل معاصينا، مسحوق لأجل آثامنا» (أش ٥٣: ٤، ٥).

إذن حين نتأمل فى آلام المسيح، إنما نتأمل معاصينا وآثامنا. ونتأمل أوجاعنا التى تحملها، وبسببها «سكب للموت نفسه، وأحصى مع أثمة» (أش ٥٣: ١٢).

آلام السيد المسيح دليل على حبه للبشر.

حبه هو الذى صلبه. ولولا هذا الحب ما استطاع بيلاطس ولا اليهود أن يصلبوه. هو قال «أضع نفسى لآخذها أيضاً. ليس أحد يأخذها منى، بل أضعها أنا من ذاتى. لى سلطان أن أضعها، ولى سلطان أن آخذها أيضاً» (يو ١٠: ١٧، ١٨). ولماذا وضع ذاته؟ من أجل محبته للبشر. من أجل حبه الجبار لى ولك. هذا الحب الذى جعله يبذل ذاته فداء عنا، لكى نخلص نحن بموته. «هكذا أحب... حتى بذل» (يو ٣: ١٦). إنه الحب الجبار الذى جعله يحمل خطايا العالم كله، لكى يمحوها بدمه وبموت عنها.

لقد كان مسروراً بحمل خطايا الناس وآلامهم.

وفى ذلك يقول القديس بولس الرسول عن الرب فى آلامه وصلبه «من أجل السرور الموضوع أمامه، إحتمل الصليب مستهيناً بالخزى...» (عب ١٢: ٢).

لقد حمل الآلام فى فرح، لأنه كان يجد سروراً فى الفداء العظيم الذى يقوم به.

كان مسروراً بهذا الخلاص الكامل الذى يقدمه على الصليب. لقد قدم نفسه ذبيحة حب، من فرط محبته لمن ذبح لأجلهم، فى فرح بخلاصهم.

فهل أنت مثله تقدم نفسك ذبيحة حب ؟

هل تنظر إلى آلام المسيح ناسياً نفسك ؟ أم أنت تأخذ من آلامه دروساً لكى تتعلم. والدرس الآن هو بذل النفس لأجل الآخرين حباً لهم. فهل أنت كذلك؟ هل أنت ذبيحة حب، تقبل الآلام حباً فى غيرك. إن لم تكن كذلك، فابدأ من الآن. تعلم البذل حتى الموت كما فعل الرب...

إن حب المسيح بلغ قمته، أو شاهدناه نحن فى قمته، حينما صعد هذا الحب على الصليب لكى يبذل ذاته فى حنان وحب وإشفاق على جميع الخطاة، و يقبل أن يموت عن الموتى الذين هم نحن، لكى نحيا بموته.

وآلام المسيح لم تكن آلام الجسد فقط ...

لم تكن آلامه الجسدية فقط، سواء فى الأشواك أو اللطم أو الجلد أو الصلب أو حمل الصليب... وإنما أهم من ذلك كله آلامه فى حمل الخطية التى لا تتفق مع طبعه... حمل جميع خطايا الناس من آدم إلى آخر الدهور...

وقف أمام الناس كخاطىء، وأمام الآب كخاطىء.

أمام الناس « أحصى مع أثمة » ... وأمام الآب وقف نائباً عن البشرية الخاطئة، يحمل خطاياها كلها ليقدم ثمنها للعدل الإلهى. وبهذا يرضى الآب، و يكون « ذبيحة محرقة، رائحة سرور للرب » (لا ١ : ٩). وهذا « الذى لم يعرف خطية، جُعل خطية لأجلنا، لنصير نحن بر الله فيه » (٢كو٥ : ٢١).

ما أصعب على القدوس أن يحمل خطية. إنه أمر مؤلم. ولكنه قبله بفرح. وهكذا مات كذبيحة خطية، كحامل خطية. فهل أنت كذلك؟

هل تحمل خطايا الناس، كما حملها المسيح ؟

هل تستطيع أن تأخذ خطايا غيرك وتنسبها إلى نفسك؟ وتقول « أنا المخطىء وليس هو »... وإن نسبت إليك خطية إقترفها آخر، هل تستطيع أن تقبل ذلك وتصمت ؟

وإن لم تستطع أن تحمل خطايا الناس، فهل يمكنك على الأقل أن تحتملها؟ أى أن تحتمل خطايا الناس إليك... إن لم تستطع أن تحمل خطايا الناس وتنسبها إلى نفسك، فعلى الأقل لا تجلس وتدينهم وتحملهم خطايا...

أنظر إلى ما فعله المسيح على الصليب ، وقارن بما تفعله أنت . هل أنت مثله ذبيحة حب تبذل ذاتك عن غيرك؟ هل أنت ذبيحة خطية تحمل خطايا غيرك؟ هل أنت ذبيحة محرقة ترضى الله الآب؟ من أنت فى أسبوع الآلام؟...

إن لم تحمل خطايا الناس ، فاحمل آلامهم .

إحمل آلام الناس كما حملها المسيح ، الذى قال لهم «تعالوا إلىّ يا جميع المتعبين والثقيلى الأحمال وأنا أريحكم» (متى ١١ : ٢٨) . إشترك إذن مع المسيح فى إراحة الناس... كن قلباً كبيراً يتألم مع المتألمين : يزور المرضى ، ويعزى الحزانى ، ويدخل فى مشاكل الناس لكى يحلها ، أو على الأقل ليصلى لأجلهم ويعزيهم ، ويربطهم بالله .

يقول الرسول « فرحاً مع الفرحين وبكاء مع الباكين » (رو ١٢ : ١٥) .

ولكن كثيرين ينفذون نصف هذه الوصية فقط .

يمكنهم أن يفرحوا مع الفرحين ، ولكن صعب عليهم جداً أن يبكوا مع الباكين ويتألموا مع المتألمين ! الفرح هو الذى يجذبهم -للأسف- وليس الألم . وإن اشتركوا فى الألم ، سريعاً ما يملوا وينصرفون ، لأن الإشتراك فى الألم يؤلمهم ، لذلك يهربون منه ، بينما هو النافع لهم .

أما أنت فتذكر فى أسبوع الآلام أن الألم نافع لك . وأن ساعة تقضيها مع آلام الناس ، هى أفيد لك من شهور فى الفرح والبهجة . وضع هذه القاعدة أمامك :

الناس يحبون البهجة . ولكنهم يستفيدون من الألم .

ولعله من أجل هذا قال سليمان الحكيم « الذهاب إلى بيت النوح ، خير من الذهاب إلى بيت الولية... الحزن خير من الضحك ، لأنه بكآبة الوجه يصلح القلب . قلب الحكماء فى بيت النوح ، وقلب الجهال فى بيت الفرح » (جا ٧ : ٢-٤) .

ولكن لأن الإنسان لا يستطيع أن يحيا فى الآلام وفى النوح باستمرار ، لذلك قال الحكيم أيضاً « لكل شىء زمان ، ولكل أمر تحت السموات وقت... للبكاء وقت... للنوح وقت » (جا ٣ : ١- ٤) . ولعكس ذلك وقت .

إستفد إذن من وقت الألم . إستفد من الإشتراك فى آلام الآخرين . واستفد من التأمل فى آلام المسيح لأجلك .

ما أشد آلام المسيح . ننظر إليها فنتعزى .

فى آلامنا نتعزى بآلامه . لأنه ما هى آلامنا إذا قيست بآلامه؟ ونتعزى أيضاً بآلامه ، لأنه جاء يحمل آلامنا . يتألم هو لنستريح نحن . وهناك أمر ثالث ، وهو أن

آلامه كانت بسبب بره، حبه وبذله، أما آلامنا فهى بسبب خطايانا...

طبعاً قبل الخطية الأولى، لم يكن هناك ألم.

لقد دخل الألم إلى العالم نتيجة للخطية. وكثرت آلام الناس، ودخل إلى قلوبهم الحزن والقلق. ولم يكن هذا ما يريده الرب لهم. فماذا فعل المسيح تجاه الألم؟ لقد حمله بدلاً من الناس... وماذا أيضاً؟

لقد قدّس المسيح الألم بآلامه...

وأصبح الألم هبة وبركة. وهكذا قال بولس الرسول «قد وهب لكم لأجل المسيح، لا أن تؤمنوا به فقط، بل أيضاً أن تتألموا لأجله» (فى ١: ٢٩).

وأصبح الألم هو طريق إلى المجد، إذ يقول الرسول أيضاً «نتألم معه، لكى نتمجد أيضاً معه» (رو ٨: ١٧)... نعم لقد قدس الرب الألم.

وسيظل يقدسه، إلى أن ننتقل من عالم الألم.

هنا الألم. مقدس وله أكاليل، كما قال القديس بطرس الرسول «إن تألمتم من أجل البر فطوباكم» (١بط ٣: ١٤). وسيظل الألم فى العالم، تنال بركته، إلى أن يأخذنا الله من هذا العالم إلى «الموضع الذى هرب منه الحزن والكآبة والتنهد» كما نقول فى لوشية الراقدين. هناك يمسح كل دمعة من عيوننا «والموت لا يكون فيما بعد، ولا يكون حزن ولا صراخ ولا وجع فى ما بعد...» (رؤ ٢١: ٤). ويعيش محبو الله فى نعيم دائم وفرح لا ينطق به ومجيد.

إذن فلنتألم هنا، لكى نتنعم هناك.

لا نكون مثل غنى لعازر الذى قال له أبونا إبراهيم «إنك استوفيت خيراتك فى حياتك، وكذلك لعازر البلايا. والآن هو يتعزى وأنت تتعذب» (لو ١٦: ٢٥). لنأخذ إذن موقف لعازر، ونتألم هنا فى الحياة الأرضية لكى نتنعم هناك. هنا ندخل من الباب الضيق، ونسير فى الطريق الكرب، لأنه «ما أضيق الباب وأكرب الطريق الذى يؤدى إلى الحياة. وقليلون هم الذين يجدونه».

فلنتألم إذن من أجل الرب، لأن آلامنا ستمهد لنا طريقاً إلى النعيم الأبدى.

الكنيسة تضع الشهداء فى القمة لأنهم تألموا.

إنها تضعهم فى طقس الكنيسة قبل الآباء الرعاة وأبطال الإيمان، وقبل الرهبان والنساك. وعلى قدر آلام هؤلاء الشهداء، ترفع الكنيسة من قدرهم، ويرفعهم الله. هؤلاء الشهداء القديسون دخلوا فى شركة آلام المسيح. تألموا معه، فتمجدوا معه.

ولكن ماذا يقال لأولئك الذين لم يكن الإستشهاد متاحاً لهم؟ لهؤلاء نقول:

كل نوع ألم لأجل الرب ، له بركته وإكليله.

الأمر ليس قاصراً على آلام الشهداء. وإنما أى ألم من أى نوع ، هو مقبول عند الله. وكل واحد سيأخذ أجرته بحسب تعبه (١كو ٣: ٨). ومن أمثلة ذلك: الآلام التى يتحملها الإنسان فى الخدمة كما شرح القديس بولس الرسول فى رسالته الثانية إلى كورنثوس (٢كو٤، ٦، ١١).

كذلك الآلام التى نتحملها فى جهادنا الروحى.

كما قال الرسول « إن مصارعتنا ليست مع لحم ودم ، بل مع... أجناد الشر الروحية» (أف ٦: ١٢). هذا الصراع «ضد مكايد إبليس» وضد «جميع سهام الشرير الملتهبة»... بكل ما فى ذلك من ألم وتعب جهاد... هو صراع له إكليله.

وبنفس الوضع كل تعيير تناله لأجل الرب.

هذا تسمع عنه قول الرب نفسه «طوبى لكم إذا عيروكم وطردوكم وقالوا عليكم كل كلمة شريرة من أجلى كاذبين. إفرحوا وتهللوا، لأن أجركم عظيم فى السموات ، لأنهم هكذا طردوا الأنبياء الذين قبلكم» (متى٥: ١١، ١٢).

هذا التعيير هو شركة فى آلام المسيح الذى عيروه، وقالوا عنه إنه مجدف ومضل.

وفى آلامك ثق أن المسيح صديق لكل متألم.

شريك له ، ورفيق له ، فى طريق الألم، لا يتركه وحده. وكما قال الكتاب «فى كل ضيقهم تضايق، وملاك حضرته خلصهم» (أش ٦٣: ٩). بل ان آلامك يعتبرها آلاماً له هو شخصياً، كما عاتب شاول الطرسوسى (أع ٩. ٤).

إذن تتعزى بأن المسيح شريك لك فى ألمك. ويتقوى أيضاً قلبك «إنتظر الرب ليتشدد وليتشجع قلبك وانتظر الرب» (مز ٢٧: ١٤). وضع أمامك أن:

المسيح كان قوياً وصامداً فى كل آلامه ...

كان راسخاً فى آلامه كالجبل الصلب الذى لا تهزه ريح ولا عاصفة. كان صامداً فى القبض عليه، وفى محاكمته، وفى الإهانات. وكان صامداً أمام الجلد والصلب والموت. وأعطى مثالاً رائعاً للقلب الكبير، القوى الشجاع، الذى احتمل ظلم الأشرار، وقال «يا أبتاه إغفر لهم...». هذه العبارة النبيلة التى هزت قلوب الناس فى كل جيل...

وهكذا حوّل صليب العار إلى صليب مجد... وحول الألم إلى بركة وإكليل.

كيف نستفيد روحيًا من الآلام؟

محاضرة ألقيت يوم جمعة ختام الصوم ١٧/٤/١٩٨١

إن الذى لا يستفيد روحياً فى أسبوع الآلام، من الصعب أن يستفيد فى الأيام العادية، لأن الآلام هى أعمق تأثيراً فى النفس.

مشاعر الفرح قد تكون سطحية. ولكن مشاعر الألم عميقة، وتصل إلى داخل الإنسان، وتمس القلب والشعور والعاطفة والإحساس. فهل استفدنا نحن فى أسبوع الآلام؟

كم أسبوع آلام مرّ علينا فى الحياة، وخرجنا منه كما نحن؟

فياليتنا نستفيد من روحانية هذه الأيام المقدسة، لتكون نقطة تحوّل فى حياتنا، أو قوة تدفعنا إلى قدام...

فما هى النصائح التى نقدمها فى هذا الموضوع؟

(السلوك داخل الكنيسة كما فى خارجها

الذى ألاحظه على كثيرين فى أسبوع الآلام، أنهم فى خارج الكنيسة يختلفون تماماً عما هم فى داخلها. هم فى الطقس شىء، وبعيداً عن الطقس شىء آخر. فكيف ذلك؟

أ - داخل الكنيسة ستائر سوداء، خارج المحلة، ألحان حزينة، قراءات لها طابع معين، تركيز فى آلام المسيح، خشوع... وربما خارج الكنيسة ضحك ومزاح ولهو وفكاهات...

والذى نبنيه داخل الكنيسة، نهدمه خارجها ...

نضيع كل ما استفدناه ... ! والتأثرات الروحية التى تحدث لنا داخل الكنيسة، نفقدها خارج الكنيسة تماماً...

ب - داخل الكنيسة لا نفكر إلا فى آلام المسيح ...

حق مزامير الأجبية لا نصليها، لأنها ليست مركزة فى آلامه فقط، وإنما تشير أيضاً إلى أحداث أخرى خاصة به، ونحن نريد التركيز فى الآلام.

وماذا عن حالنا خارج الكنيسة؟ عشرات من الموضوعات نسرح فيها ونتكلم فيها، وكأننا لسنا فى أسبوع الآلام... فياليتنا، على قدر إمكاننا، نركز الفكر والحديث فى الآلام، وفى تأملات حول أحداث هذا الأسبوع.

وإن كنا فى أسبوع البصخة ، نتبع السيد المسيح خارج المحلة ...

فلنعش فى أسبوع الآلام خارج المحلة ، وحدنا خارج الوسط العلمانى المحيط بنا ...

وهذا يدفعنا إلى نقطة أخرى وهى :

٢ [redacted]

إن كنا فى أيام الصوم العادية نضع أمامنا قول الكتاب « قدسوا صوماً ، نادوا باعتكاف » (يوئيل ٢ : ١٥) ، فكم بالأولى يكون ذلك فى أسبوع الآلام ؟

وذلك بالبعد عن اللقاءات والأحاديث غير اللازمة .

أيام البصخة المقدسة ، ليست هى أيام السمر مع الأصدقاء ، والمتعة معهم بالكلام والحكايات . وليست هى أيام الجدل والمناقشات فى شتى الموضوعات ، أو التحدث فى أى أمر من الأمور مهما كان تافهاً وغير ضرورى ...

إنما البصخة هى أيام تتميز بالإعتكاف مع الله ، وأيضاً :

بالبعد عن شتى الترفيهات ووسائل التسلية .

فلا تضيع وقتك فيها فى قراءة المجلات والجرائد ، والإنشغال بما فيها من أخبار وفكاهات ، أو مناقشة ما تقرأه مع الأسرة والأصدقاء ... ولا تضيع وقتك فى أسبوع البصخة إلى جوار الراديو والتلفزيون وما أشبه ...

إنما حاول أن تعتكف ، وادخل إلى داخل نفسك ، وانفرد بالرب . واقصر لقاءاتك وأحاديثك على الأمور الضرورية فقط . ووفّر وقتك للعمل الروحى اللائق بهذا الأسبوع المقدس .

لا شك أن قمة التركيز ، هى فى التفرغ الكامل للتأمل فى آلام الرب . وقد يكون هذا بإمكان الآباء الرهبان ، ومن قد تحرروا من أعباء العمل الأرضى ، أو بإمكانهم هذا التحرر .

ويؤثر فىّ جداً ، الذين يأخذون أجازات فى البصخة .

وذلك كى يتفرغوا للرب ولمشاعر هذا الأسبوع المقدس . ولا يوفرون عطلاتهم للتصييف ولمشاغلهم الضرورية ، بل يجعلونها للرب ...

لقد تفرغ أهل نينوى للرب خلال صومهم ، وأعطونا بذلك درساً... وها نحن نجتاز أياماً هى أقدس من صوم نينوى .

فعلى الأقل أوقات فراغك ركزها فى الرب .

لا تضيع شيئاً من أوقات فراغك خلال أسبوع الآلام . بل استغل ذلك فيما يليق بالبصخة المقدسة ، سواء بحضور الكنيسة ، أو التأملات الخاصة ، أو الصلوات والقراءات اللائقة بآلام السيد المسيح .

ولا تنشغل السيدات خلال البصخة بالإستعداد للعيد .

من تنظيف البيت ، وإعداد الطعام ، وما يلزم شراؤه ليوم العيد . إستعدوا لكل ذلك قبل أسبوع الآلام ، أو فى أضيق نطاق خلاله . ولتكن آلام المسيح هى أهم ما يشغل الفكر والوقت فى أيام البصخة . ومما يليق بهذه الأيام أيضاً :

٣ تتبع خطوات المسيح

تتبع حياة المسيح فى هذا الأسبوع خطوة خطوة .

منذ أن رفض الملك الأرضى يوم أحد الشعانين ، وفقد اليهود آمالهم فيه ، إلى أن صلبوه ووضعوه فى القبر .

ولتكن لك تأملاتك فى كل أيام البصخة بما يناسبها .

فإن رفض السيد المسيح الملك الأرضى يوم الأحد لأن له مملكة روحية ، إبحث أنت هل أرضيت الرب فى ملكه الروحى ؟ هل يوجد فيك شىء لا يملكه المسيح ؟ كيف تخضع كل ما فيك لملكوته ؟

وفى الجناز العام ، قل لنفسك : لو حدث أننى مت فى هذا الأسبوع ، فإنهم لن يقيموا على جنازاً ، ليتنى إذن أستفيد من هذا الجناز العام وكأننى أستعد لأبديتى ، وأعتبر هذا الجناز العام كأنه خاص بى .

وإن وجدت طقس الكنيسة قد منع التقبيل والسلام من عشية أربعاء البصخة ، تذكاراً لقبلة يهوذا ، قل فى صلاتك : كم مرة يارب قبلتك قبلة يهوذا ؟ كم مرة أسجد قدام هيكلك وأقبل أعتابه ، وأنا أخونك بخطاياى ؟! كم مرة علقت صليباً على صدرى ، إشارة إلى أننى إبنك وأحد تابعيك ، بينما صدرى هذا يبعد كثيراً عن محبتك ؟!

كم مرة قلت لك فى صلاتى عبارات الحب ، بينما قلبى مبتعد عنك بعيداً ...؟ ليتنى حينما أقبلك يارب، يكون ذلك بجدية وصدق، وبقلب يحبك، ولا يخونك بخطاياه.

كل هذا فى تتبعك لأحداث أسبوع الآلام . وأيضاً :

إتخذ قراءات الكنيسة فى هذا الأسبوع مجالاً لتأملاتك .

٤ أهمية قدسية هذا الأسبوع :

هذا الأسبوع الذى هو أقدس أيام السنة ، الذى فيه بذل الرب ذاته عنا ، ووفى كل ما نحتاجه لأجل خلاصنا ، وقال عن هذا الخلاص « قد أكمل » (يو ١٩ : ٣٠) . وكان ذبيحة حب . ومن أجلنا إحتمل ظلم الأشرار، إحتمل الإهانات والتعيير، والضرب والبصق، والجلد والشوك والصلب ، وكل صنوف الآلام ... ليكن كل ذلك فى ذهنك . واسلك بما يناسبه ...

إن لم تشعر بقدسية هذا الأسبوع ، فلن تسلك فيه كما ينبغى .

لتكن أيامه أياماً روحانية غير عادية .

بتدقيق شديد فى سلوكك ، وباهتمام زائد بروحياتك وبتفرغ للعبادة على قدر إمكانياتك ، وبمشاعر قلبية تليق بمن وضع آلام الرب عنه أمام عينيه . وبالإضافة إلى هذا كله :

٥ أهمية شركة آلامه

قال القديس بولس الرسول « لأعرفه وقوة قيامته ، وشركة آلامه ، متشبهاً بموته » (فى ٣ : ١٠) . فهل يمكن أن تعطى لنفسك تدريباً ، أن تدخل فى شركة آلام الرب متشبهاً بموته ؟

إن الرسول الذى دخل فى شركة آلامه ، قد قال :

« حاملين فى الجسد كل حين إماتة الرب يسوع ... الموت يعمل فينا ... نسلّم دائماً للموت من أجل يسوع » (٢ كو ٤ : ١٠ - ١٢) . « من أجلك نمات كل

النهار. قد حسبنا كغنم للذبح» (رو٨: ٣٦).

فهل دخلنا نحن مع الرسول فى شركة آلام المسيح؟ هل تبعنا الرب فى آلامه، وصعدنا إلى الصليب معه؟

هل إشتركنا فى الألم معه؟ هل حملنا العار من أجله؟

أو هل نحن فى أعماق قلوبنا مستعدون لذلك كله؟ هل نحن مستعدون أن نخرج إلى خارج المحلة من أجل الرب؟ هل نحن مستعدون أن نصلب معه؟ وأن نشغى بقول الرسول «مع المسيح صلبت لكى أحيا لا أنا، بل المسيح يحيا فىّ» (غل ٢: ٢٠). إذن الطريقة التى تجعل المسيح يحيا فيك، هى أن تصلب معه...

هل من أجله نحتمل؟ وهل من أجله نصبر؟ وهل من أجله نحمل صليبنا كل يوم ونتبعه؟

أم فى كل ألم يأتينا من أجله نتعب ونتذمر؟

ونشكو، ونحزن، وندين غيرنا ... ثم نقول إن الصليب قد ثقل علينا! حسن أن تدخل فى شركة آلام المسيح، ولكن ينبغى أن يكون ذلك برضى وبفرح وبشكر. سواء فى ذلك الآلام التى تُدخل فيها نفسك، أو الآلام التى تأتيك من آخرين...

إن تذكرت فى أسبوع الآلام أن لك صليباً، إحمله بهدوء إلى الجلجثة، حيث تحتمل الألم هناك من أجل الرب، إلى أن يقول لك الرب «قد أكمل»...

هذا يجعلنا ندخل فى تدريب آخر خلال أسبوع الآلام وهو:

٦ الشعور بلذة الألم

كل ألم نحمله لأجل الرب، أشعر بلذته وبركته وإكليله.

آباؤنا الشهداء كانوا يجدون لذة فى الآلام، مثل القديس الأنبا فام، الذى لبس أفخر ملابسه وهو ذاهب ليستشهد، وقال «هذا هو يوم عرسى». ومثل القديس الذى قبّل السلاسل التى قيدوه بها.

ربما لأجل لذة الألم عندهم، إستطاعوا أن يحتملوا الألم.

فهل أنت هكذا؟ أم أنت حساس جداً لكل ألم يحل بك. تتضايق وتتعب وتحزن، وربما تثور!! درّب نفسك على التخلص من كل هذا. إن كانت لديك

حساسية زائدة نحو كرامتك ونحو حقوقك، حاول أن تتخلص منها، متذكراً ما قيل عن السيد المسيح.

«ظُلم. أما هو فتذلل ولم يفتح فاه. كشاةٍ تساق إلى الذبح، وكنعجة صامتة أمام جازيها» (أش٥٣: ٧).

إن كنت كثير العتاب، وإن كانت أقل عبارة تخدشك، وأقل تصرف يجرحك ويشيرك أو يبكيك، فاعرف أنك لم تدخل فى تدريب الألم بعد، وأنك محتاج أن تختبره.

إفرح بالألم، لأن الله يمنحه كبركة.

إنه لما دعا شاول الطرسوسى لكى يكون رسولاً، شرّفه بهذا الألم فقال «سأريه كم ينبغى أن يتألم من أجل إسمى» (أع٩: ١٦).

ودخل الرسول فى هذا الألم، الذى لم يفقده فرحه، فقال «كحزانى، ونحن دائماً فرحون» (٢كو٦: ١٠)، «كمائتين وها نحن نحيا».

إننا سننال أجرنا فى السماء، على قدر آلامنا لأجله.

«كل واحد سيأخذ أجرته بحسب تعبه» (١كو٣: ٨).

فإن كان الأمر هكذا، ليتنا ندخل فى اختبار الألم بحب، برضى، بفرح، بشقة... فى إيمان بالملكوت... وإن كان الأشرار «أعمالهم تتبعهم» فالأبرار آلامهم تتبعهم، وأيضاً أعمالهم الطيبة تتبعهم.

وكل إنسان له نوعية ألمه لأجل الرب.

ليس من الضرورى أن يدخل فى آلام الصلب والجلد كالسيد المسيح، أو آلام الظلم والإتهامات الكاذبة التى تعرض لها المسيح، إنما قد يكون ألمك من أجله هو تعب الخدمة، تعب البذل، هو «تعب المحبة» (عب٦: ١٠)... المحبة التى تصعد على الصليب، لكى تبذل ذاتها، وتعطى حياة للآخرين، كما فعل الرب، ولكن بصورة بسيطة... صورة المحبة التى تجول تصنع خيراً كما فعل الرب... (أع١٠: ٣٨).

ماذا نفعل أيضاً لكى نستفيد من أسبوع الآلام؟

لا شك أنه يلزمنا أن نسلك بنسك يليق بهذا الأسبوع.

٧ [illegible]

الذى يضع آلام المسيح قدامه ، لا يجد فى نفسه ميلاً للأكل أو للتلذذ بالطعام... فهو يصوم -لا ضاغطاً على نفسه- بل عزوفاً عن الطعام وزهداً فيه.

إن الألم بطبيعته ، لا يتفق مع شهوة الأكل .

الذى يميل إلى شهوة الأكل ، لا يشعر بعمق الآلام فى داخله . والذى تكون له مشاعر هذه الآلام فى عمق ، لا يميل تلقائياً إلى الطعام . لذلك فالناس يصومون فى أسبوع الآلام بنسك شديد ، وقد يطوون الأيام طياً ، دون أن يشعروا بتعب ، لأن استغراقهم فى آلام المسيح ينسيهم الأكل ، ولا يجعل فى داخلهم ميلاً إليه .

لذلك ، إن ضغط عليك الجوع بسهولة ...

إعرف أنك لم تدخل فى مشاعر الآلام كما ينبغى .

فلا تسرع إذن إلى الأكل ، إنما أسرع إلى اكتساب تلك المشاعر ، وادخل فى شركة آلام المسيح ، حينئذ يخف الجوع عنك ، وقد تنساه ، أو تجوز مقابله...

فليكن لك فى أسبوع البصخة نظام خاص فى الصوم . إبعد عن كل شىء شهى . وابعد عن الأطعمة الحلوة المذاق . واسلك فى نسك ، والأفضل فى زهد .

وإن حاربتك نفسك بالطعام ، فلا تطاوعها .

بل انتصر عليها فى حزم . واعلم أن أكبر فرح تفرح به نفسك ، هو انتصارك على هذه النفس . وكما قال أحد الأدباء الروحيين « إفرحوا ، لا بشهوة نلتموها ، بل بشهوة أذللتموها »... وكلما اشتهيت أن تأكل ، وبخ نفسك قائلاً : هل فى هذه المناسبة التى تألم فيها الرب من أجلى ، ألتذ أنا بالطعام والشراب ؟ حاشا...

ولكن لكى تستطيع أن تنجح فى تدبير النسك هذا ، عليك بالغذاء الروحى الذى تتغذى به نفسك فتحيا وتحتمل الجوع . ومن هذا الغذاء :

٨ [illegible]

القراءة غذاء للروح . ولأسبوع الآلام قراءات تناسبه .

تناسبه القراءات عن آلام المسيح ، وعن أحداث هذا الأسبوع المقدس ، بما

يلحق كل هذا من تفاسير روحية وعظات القديسين.

و يصلح أيضاً أى كتاب يشعل النفس بمحبة الله ...

وفى طقس الكنيسة وضعت لنا أن نقرأ الأناجيل الأربعة، موزعة على أيام الأسبوع الأولى. وسفر الرؤيا فى ليلة أبو غالمسيس عشية السبت الكبير، مع تسابيح وصلوات الأنبياء القديسين. مع قراءات داخل الطقس من نبوات العهد القديم. كذلك نقرأ مراثى أرمياء النبى فى الساعة الأخيرة من يوم الجمعة العظيمة.

وقراءة سفر أيوب النبى مناسب جداً، مثله مثل مراثى أرمياء. وربما كانوا يقرأونه يوم الأربعاء من البصخة المقدسة. والمهم فى كل ذلك:

أن تكون القراءة بفهم وعمق واستفادة روحية.

وكل يوم من أيام البصخة المقدسة له قراءات تناسبه. وسنحاول بمشيئة الرب أن نسهم فى أن نقدم لك لكل يوم قراءة مناسبة.

القراءة الروحية غذاء روحى جميل، يركز الفكر ويمنعه من التشتت، ويقوده إلى المشاعر الخاصة بموضوع القراءة. كما أن القراءة مادة للتأمل وللصلاة. وهناك غذاء آخر هو الألحان.

٩ الألحان

لأسبوع الآلام ألحانه الخاصة المملوءة عمقاً وتأثيراً.

وليتكم تعيشون فى بيوتكم فى جو ألحان أسبوع الآلام التى تسمعونها فى الكنيسة. ويساعدكم على هذا، إن كانت لديكم تسجيلات صوتية لهذه الألحان. وهكذا تشعرون أن البيت كأنه خورس من الكنيسة، يعطى تأثيراً مشابهاً.

ويمكنكم أن ترددوا هذه الألحان فى البيت وفى أى مكان. وليكن ذلك بروح الصلاة، مستفيدين من المشاعر التى يثيرها اللحن فى النفس.

وبالإضافة إلى هذا، فإن الألحان - كالقراءة - تحفظ الفكر من التشتت، وتقوده فى مجال روحى.

حتى الذين ليست لهم موهبة ترديد الألحان، على الأقل يمكنهم التأثر بالألحان حين سماعها.

القراءة والألحان، غذاءان روحيان، نضم إليهما أيضاً الصلاة.

١٠

ما دامت صلاة الأجبية غير مستعملة فى هذا الأسبوع ، فما هو العمل الروحى الذى نستخدمه فى الصلاة إذن، لتكون لنا صلة قوية بالله ؟

إستخدموا الصلوات الخاصة القلبية العميقة .

قولوا للرب كل ما فى قلوبكم ، فى صراحة الإبن مع أبيه، بكل عاطفة وحب، صلوا من أجل أنفسكم، ومن أجل الكنيسة، ومن أجل كل من هو فى ضيقة.

إستخدموا أيضاً تسبحة البصخة بدلاً من الأجبية .

ناجوا الرب فى صلواتكم « لك القوة والمجد والبركة والعزة إلى الأبد آمين ياعمانوئيل إلهنا وملكنا...» . وكرروها كثيراً فى تأمل روحى لكل لفظة من ألفاظها . وأذكر أننا وضعنا كتاباً يشمل تأملات عن هذه التسبحة الخاصة بالبصخة...

صلوا أيضاً الصلوات القصيرة المتكررة .

أية صلاة تمثل حالة قلبك الداخلية ، سواء كانت طلباً ، أو شكراً، أو تمجيداً للرب ، أو تأملاً فى صفاته الجميلة ، أو اعترافاً بالخطية ، أو انسحاق قلب...

أى شىء من هذا نصوغه فى جمل قصيرة ، وتحدث الرب به من أعماقك.

يضاف إلى كل هذا ، صلوات الكنيسة الطقسية .

فإن أسبوع البصخة يتميز بالصلوات العامة الجماعية، إذ يجتمع فيه الكل فى الكنيسة ، يوجهون صلواتهم بروح واحدة . ونلاحظ فى الأيام الثلاثة الأخيرة بالذات (الخميس والجمعة وعشية السبت) أن الصلوات العامة تشمل اليوم كله تقريباً ، مع سهرة طول الليل عشية السبت فى ليلة أبو غالمسيس فى تسبيح وصلوات وقراءات ورفع بخور، تنتهى بالقداس الإلهى.

وعلى الإنسان الروحى أن يتابع بقلبه كل هذه الصلوات ، مركزاً فيها فكره ومشاعره ، طالباً من الرب الذى حمل خطايا العالم كله ومات عنها ، أن يغفر ويصنع رحمة كعظيم رحمته.

وهذا يقودنا إلى نقطة أخرى فى روحانية أسبوع الآلام ، وهى :

١١ الإعتراف والتناول

يحسن فى هذا الأسبوع ، أن يجلس الإنسان مع نفسه و يتذكر خطاياه، ويجمعها و يضعها على السيد فوق صليبه. يضعها على حمل الله الذى حمل خطايا العالم كله. و يقول له فى ألم وفى خجل « إحمل يارب خطاياى أنا أيضاً ضمن خطايا البشرية كلها التى حملتها. خذها يارب وسمرها على الصليب معك، لكى تمحى بدمك».

فى أسبوع الآلام ، حاسب نفسك بدقة .

حاسب نفسك على خطاياك ، منذ أن عرفت الخطية حتى الآن . واعرف أن هذه الخطايا هى سبب صلبه...

فى آلام المسيح نتبكت فى داخلنا ، لأننا سبب آلامه .

إن كثيرين يحزنون على آلام المسيح ، وهم يزيدون آلامه بأفعالهم كل يوم. كثيرون يرون صورة المسيح المصلوب فيبكون من فرط التأثر، بينما هم يصلبون المسيح كل يوم بخطاياهم (عب ٦ : ٦).

إننا لا نحزن فى هذا الأسبوع على السيد المسيح ، إنما تحزننا خطايا البشرية التى سببت له هذه الآلام .

نحزن على أنفسنا ، لأننا السبب فى كل هذه الآلام . لأن الكأس المرة التى أعطاه الآب ليشربها (يو ١٨ : ١١)، نحن الذين صنعنا قطراتها بخطايانا وآثامنا.

حقاً ، كيف هبطت البشرية فى مستواها إلى هذا الحد ، الذى فقدت فيه كل قداسة وكل بر. وأصبحت تنتقل من خطية إلى أخرى، فى غير حياء.

ولأن الأليق أن نبكى على أنفسنا الخاطئة، وليس على المسيح الذى انتصر فى موته وقدم خلاصاً عجيباً. لذلك حسناً قال السيد للنسوة اللائى بكين عليه «يابنات أورشليم، لا تبكين علىّ، بل ابكين على أنفسكن وعلى أولادكن» (لو٢٣ : ٢٨).

إنما كلما ينظر القلب إلى الرب فى صلبه ، يصرخ قائلاً :

أنا آسف يارب ، أنى آلمتك إلى هذا الحد .

آلامك هذه ، هى فى حقيقتها آلامى أنا . وقد تحملتها أنت نيابة عنى. حقاً ،

إنى أفرح من أعماق بهذا الخلاص الذى قدمته لى وللعالم كله بدمك. ولكنى كلما أذكر قول الرسول «لأن فصحنا المسيح قد ذبح لأجلنا» (١كو ٥ : ٧).

أذكر أيضاً أن الفصح كان يؤكل على أعشاب مرة ...

حقاً إن الشعب كان فرحاً، لأن دم الفصح نجاهم من السيف المهلك، يقول الرب لهم «حينما أرى الدم، أعبر عنكم» (خر ١٢ : ١٣). ولكنهم مع ذلك أكلوا الفصح «على أعشاب مرة» حسب أمر الرب لهم (خر١٢ : ٨).

وإذ كانت مرارة هذه الأعشاب فى أفواههم، تذكروا خطاياهم التى سببت لهم الوقوع فى عبودية فرعون، واحتياجهم للفصح للعبور من هذه العبودية ومن الموت.

ونحن أيضاً نأكل فصحنا على أعشاب مرة متذكرين خطايانا التى احتاجت إلى هذا الدم، لكى فيه ينضح الرب علينا بزوفاه فنطهر...

نتذكر خطايانا وندين أنفسنا، ولا ندين الآخرين.

أمام صليب المسيح نقف كخطاة، وليس كقديسين. نفكر فى خطايانا وليس فى خطايا الغير. كلنا تحت الحكم. ليس أحد باراً، ليس ولا واحد (مز١٤ : ٣).

نعترف بخطايانا ونجهز أنفسنا للتناول. وأمامنا ثلاثة قداسات فى أسبوع الآلام: يوم خميس العهد، ويوم سبت لعازر، وأحد القيامة. تسبقها مناسبتان هامتان هما قداس جمعة ختام الصوم، وقداس أحد الشعانين.

وقداس خميس العهد هو أصل جميع القداسات.

١٢ فترة تخزين روحى

أسبوع الآلام هو فترة الحصاد للسنة كلها. تحصد فيه من الروحيات ما يكفيك العام كله. وهذا ما نريده. لسنا نريد فى البصخة روحيات لهذا الأسبوع فقط...

إنما نريد رصيداً وخزيناً لأيام الخماسين أيضاً.

نريد رصيداً روحياً فى أسبوع الآلام يكفى أيضاً أيام الخمسين التى لا صوم فيها، ولا مطانيات، ولا ألحان البصخة المؤثرة. إستعدوا لها إذن من أيام البصخة.

يقيناً أن الذى يفتقر روحياً فى أيام الخمسين، هو شاهد على نفسه أنه لم يختزن روحيات كافية فى الصوم الكبير وفى أسبوع الآلام.

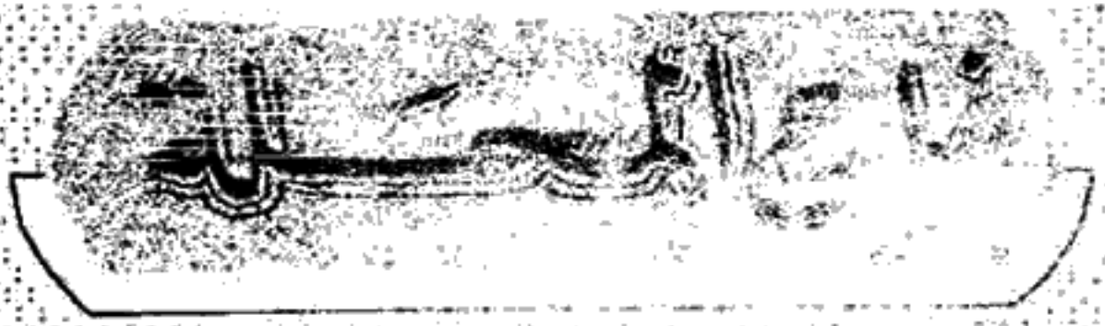

عن محاضرتين ألقيتا في الطائفة الكبرى، بالأسكندرية
مساء الجمعة ٢ / ٤ / ١٩٧٢ .. ومساء الجمعة ٢٠ / ٤ / ١٩٧٣

• مع المسيح خارج المحلة

ونحن نتبع السيد المسيح خطوة خطوة فى أسبوع الآلام ، نلاحظ أنهم أخرجوه خارج المحلة . فما هو المعنى الروحى الذى تنطوى عليه عبارة « خارج المحلة » ؟

المحلة هى مسكن المؤمنين . هى موضع القديسين .

هى المكان الذى يحل فيه المؤمنون ، أو هى المكان الذى يحل فيه الله مع هؤلاء المؤمنين القديسين ، أى هى « مسكن الله مع الناس » . لذلك قيل « لتكن محلتك مقدسة » (تث ٢٣ : ١٤) .

فكيف يمكن الحفاظ على قداسة المحلة ؟

كل شىء نجس أو غير طاهر ، ينبغى أن يكون خارج المحلة . ولذلك فإن ذبائح الخطية كانت تحرق خارج المحلة ، مع أنها من أقداس الرب ، وذلك لأنه قد وضعت عليها خطايا الناس ، فينبغى أن تحرق خارج المحلة لئلا تنجس المحلة ... وفى هذا يقول بولس الرسول إن الذبائح التى تحمل خطايا الناس « التى يدخل بدمها عن الخطية إلى الأقداس بيد رئيس الكهنة » كانت « تحرق أجسامها خارج المحلة » (عب ١٣ : ١١) .

والسيد المسيح كذبيحة خطية ، صلبوه خارج المحلة .

حقاً إنه قدوس بلا خطية . ولكنه حمل خطايا العالم كله (يو ١ : ٢٩ ، ١يو ٢ : ٢) ، « كلنا كغنم ضللنا ، ملنا كل واحد إلى طريقه . والرب وضع عليه إثم جميعنا » (أش ٥٣ : ٦) . وهكذا فإنه إذ حمل خطايانا وصار ذبيحة خطية ...

كان لا بد أن يتألم خارج الباب ، خارج المحلة (عب ١٣ : ١٢) .

لقد صلبوه . والكتاب يقول إنه ملعون من علق على خشبة (تث ٢١ : ٢٣) . إذن كان لا بد أن يخرج خارج المحلة ليصلبوه هناك .

والخاطىء عموماً كانوا يطردونه خارج المحلة ، لئلا ينجسها ، ولكى تبقى المحلة مقدسة بلا خطية . وهكذا فعلوا مع المسيح إذ « أحصى مع أثمة » (أش ٥٣ : ١١) ، وصار فى نظرهم شخصاً مخطئاً مداناً محكوماً عليه ... لو صلبوه فى أورشليم ، فإنه ينجس أورشليم بصلبه ... !!

الذى ظل مغلقاً منذ الخطيئة الأولى، وأدخلهم إلى الفردوس بعد انتهاء العقوبة.

قايين أيضاً أخرجه الرب إلى خارج المحلة.

وأدرك قايين هذه الحقيقة فقال للرب «ذنبى أعظم من أن يحتمل. إنك قد طردتنى اليوم عن وجه الأرض، ومن وجهك أختفى، وأكون تائهاً وهارباً فى الأرض» (تك ٤: ١٣، ١٤).

وأصبح قايين خارج المحلة بمعنيين خطيرين:

الأول منهما والأصغر، هو طرد الرب له عن وجه الأرض. ماعاد يرى حتى ولا وجه أبيه آدم، ولا جماعة القديسين الذين ولدوا منه ودعوا أولاد الله (تك ٦: ٢).

والطرد الثانى الخطير، هو طرده من أمام وجه الله. وذلك بقوله «ومن وجهك أختفى». هذا الأمر المرعب الذى كان يخافه داود النبى جداً ويرتعد منه، قائلاً فى صلاته «لا تطرحنى من قدام وجهك، وروحك القدوس لا تنزعه منى» (مز ٥٠).

هذه هى عقوبة «خارج المحلة». أنقول إنها منذ بدء البشرية؟

صدقونى إن عقوبة «خارج المحلة»،

هى أقدم من آدم وحواء وقايين:

فأول من عوقب بها، هو الشيطان نفسه، الذى أخرج من جماعة الملائكة القديسين. ولم يعد مسكنه مع ملائكة الله فى السماء، بل «الجولان فى الأرض والتمشى فيها» (أى ١: ٧، ٢: ٢).

ما أصعب الكلمات التى قيلت عن سقطة الشيطان وعقوبته فى سفر أشعياء النبى. قيل له «كيف سقطت من السماء... كيف قطعت إلى الأرض... أنت قلت فى قلبك أصعد إلى السموات، أرفع كرسى فوق كواكب الله... أصير مثل العلى. لكنك انحدرت إلى الهاوية، إلى أسافل الجب» (أش ١٤: ١٢-١٥).

وفى خارج المحلة، وقعت على الشيطان نفس العقوبتين.

أصبح خارج محلة القديسين، خارج مجمع الملائكة الأطهار.

وأصبح أيضاً خارج الصلة بالله نفسه. فقد محبته وعشرته والدالة معه، وفقد الشركة معه فى العمل. وأصبح خارجاً، فى الظلمة الخارجية... هو وكل الملائكة الذين تبعوه.

عقوبة «خارج المحلة» وقعها الله على البشر والملائكة.

ووقعت هذه العقوبة بصفة جماعية ، فى الطوفان .

إن الخطاة نجسوا الأرض بأفعالهم . وأراد الله أن يطهر الأرض مرة أخرى ، فأزال منها الخطية والخطاة . وأخرج هؤلاء الخطاة خارج المحلة ، خارج الأرض كلها ، خارج الحياة ذاتها ، بعقوبة الإفناء العام ، التى لم تتكرر فى تاريخ البشرية مرة أخرى (تك ٦) .

وأصبحت محلة الله المقدسة هى فلك نوح ، الذى ضم ثمانى أنفس فقط خلصها الرب (١بط ٣ : ٢٠) . أما الأشرار والخطاة فكانوا خارج المحلة ، خارج الفلك ، يلاقون مصيرهم ...

ونفس الوضع حدث مع قورح وداثان وأبيرام .

هؤلاء الذين اغتصبوا لأنفسهم كرامة الكهنوت ، ونشروا أفكاراً غريبة وسط الناس ، وسمحوا لمائتين وخمسين رجلاً من أتباعهم أن يحملوا مجامر و يقدموا بخوراً (عد ١٦ : ١٧) .

فماذا حدث ؟ أخرجهم الرب خارج المحلة ، خارج جماعة المؤمنين إذ قال للشعب «إعتزلوا عن خيام هؤلاء القوم البغاة ... لئلا تهلكوا بخطاياهم» (عد ١٦ : ٢٦) . ثم أخرجهم الرب خارج الحياة ذاتها ، إذ «فتحت الأرض فاها وابتلعتهم وبيوتهم وكل ما كان لقورح مع كل الأموال . فنزلوا هم وكل ما كان لهم أحياء إلى الهاوية ، وانطبقت عليهم الأرض ، فبادوا من بين الجماعة ... وخرجت نار من عند الرب ، وأكلت المائتين والخمسين رجلاً الذين قربوا البخور» (عد ١٦ : ٣٢-٣٥) .

وهكذا أخرجوا خارج المحلة بدون توبة وماتوا .

وعادت المحلة مقدسة ، بعد أن تطهرت من الشر والأشرار ...

ولعل هذا يذكرنا بالحكم الذى أوقعه القديس بطرس الرسول على حنانيا وسفيرا إذ لم يخرجهما خارج المحلة فقط بفرزهما من جماعة المؤمنين ، بل أخرجهما كلية من الحياة . فوقع حنانيا ومات . وقال بطرس لسفيرة بعد ثلاث ساعات « هوذا أرجل الذين دفنوا رجلك على الباب ، وسيخرجونك خارجاً » (أع ٥ : ٩) .

خارجاً إلى أين ؟ هل مجرد خروج خارج المحلة قد تعقبه توبة ورجوع ؟ كلا ، بل خرجوا من المحلة إلى الموت ... فوقعت سفيرة فى الحال عند رجليه وماتت .

أما خاطىء كورنثوس فأخرجوه . لكنه تاب .

هذا الخاطىء - بأمر من القديس بولس الرسول - طبقوا عليه مبدأ «إعزلوا الخبيث من بينكم» (١كو ٥ : ١٣) . وأمر أن «يرفع من وسطهم» وأن «يسلم مثل هذا للشيطان لهلاك الجسد ، لكى تخلص الروح فى يوم الرب» (١كو٥ : ٥) .

وإذ بهذا الخاطىء يتوب ، ويحزن كثيراً جداً على خطيئته ، حتى رق له الرسول وسامحه ، وأرسل إلى أهل كورنثوس لكى يرجعوه مرة أخرى إلى داخل المحلة ، قائلاً لهم «يكفيه هذا القصاص الذى من الأكثرين ، حتى تكونوا بالعكس تسامحونه بالحرى ، وتعزونه ، لئلا يبتلع مثل هذا من الحزن المفرط . لذلك أطلب أن تمكنوا له المحبة» (٢كو ٢ : ٦ ، ٧) . وهكذا عاد إلى المحلة بالتوبة .

الكنيسة سارت على هذا النهج فى عصورها الأولى .

الكنيسة هى جماعة من القديسين ، وليست مجرد جماعة من المؤمنين . فالذى يخرج عن هذا الإيمان ، أو عن هذه القداسة ، كانت الكنيسة تخرجه خارجاً ، تحكم عليه بالفرز . لأن الكنيسة لا يليق بها أن تكون خليطاً من القديسين والأشرار ، من المؤمنين وغير المؤمنين . وقد قال الرسول فى ذلك :

« لأنه أية شركة للنور مع الظلمة » ؟!

« وأية خلطة للبر والإثم ... وأى نصيب للمؤمن مع غير المؤمن» (٢كو ٦ : ١٤ ، ١٥) . ولذلك يقول الرسول عن الخطاة «لا تخالطوا ولا تؤاكلوا مثل هذا» (١كو٥ : ١١) .

هناك خطاة كانوا يمنعون كلية من دخول الكنيسة . وخطاة آخرون كانوا يمنعون من حضور القداس الإلهى ، قداس القديسين . إنما قد يسمح لهم فقط بالجزء الأول الذى هو قداس الموعوظين . فيسمعون القراءات والعظة و ينصرفون قبل رفع الأبرسفارين ... لأن «القدسات للقديسين» ...

وتبقى الكنيسة مجموعة من القديسين . من يريد حياة القداسة يبقى فيها . ومن لا يريد يخرج . لأن الكتاب يقول «ببيتك تليق القداسة يارب» (مز٩٣) .

وحينما كانت الكنيسة تعزل الخطاة بعيداً - ولو إلى سنوات - خارج الحياة الكنسية وشركة القديسين ، كانت الكنيسة أكثر قداسة وأكثر نقاوة . وكان المؤمنون أكثر تدقيقاً فى تصرفاتهم «مكملين القداسة فى خوف الله» (٢كو٧ : ١) .

هذا من جهة عقوبة الكنيسة ، على أن هناك نوعاً آخر :

خطاة يخرجون أنفسهم خارج المحلة .

مثال ذلك الإبن الضال . الذى لما اشتهى أن يسلك حسب هواه ، ويتمتع بالمال مع أصدقائه ، هو من تلقاء نفسه ترك بيت أبيه ، وذهب إلى كورة بعيدة (لو ١٥ : ١٣) . وهكذا عاش خارج المحلة ، بعيداً عن الآب ... وظل هكذا إلى أن رجع إلى نفسه (لو ١٥ : ١٧) ، فرجع إلى المحلة ، إلى بيت أبيه ...

ومثال الإبن الضال ، أخوه الأكبر .

هذا الذى كان أبوه فرحاً برجوع أخيه الضال . وكانت الأسرة كلها فرحة بذلك . ولكن ذلك الإبن الكبير ، بدافع من الكبرياء أو من الغيرة ، أو لتعارض مشيئته مع مشيئة أبيه ، يقول الكتاب عنه إنه «غضب ولم يرد أن يدخل» (لو ١٥ : ٢٨) . واضطر أبوه أن يخرج إليه ويقنعه ، وهو بكامل إرادته خارج المحلة . لم يخرجه أحد ، بل أخرجته مشاعر قلبه الخاطئة ...

ومثل هذا جماعة المنشقين . ومثله كل شخص يغضب من الكنيسة لأى سبب ، ويصدر قراراً يقول فيه «لن أدخل الكنيسة بعد الآن» . ويبقى بإرادته خارج المحلة .

وهناك من يخرج خارج الكنيسة بسبب العقيدة والتعليم .

كالذين ينشقون ويبعدون ، وينشئون لأنفسهم مذاهب وشيعاً ...

أو كالذين تحاكمهم الكنيسة ، وتحكم عليهم بالحرم ***Anathema***

وهكذا تقطعهم من جماعة المؤمنين كلية ، وتخرجهم خارج المحلة ، لأنهم ابتدعوا بدعة ، أو وقعوا فى هرطقة وأصروا عليها ، وعلموا تعليماً غير المسلم لنا من الآباء . وفى ذلك يقول الرسول :

«إن بشرناكم نحن أو ملاك من السماء بغير ما بشرناكم به ، فليكن أناثيما» ، «إن كان أحد يبشركم بغير ما قبلتم ، فليكن أناثيما» (غل ١ : ٨ ، ٩) .

ويوحنا الحبيب نفسه ، حكم بهذا الحكم .

يوحنا الحبيب ، التلميذ الذى كان يسوع يحبه ، الذى تكلم عن المحبة أكثر من جميع الرسل ، نراه هو أيضاً يقول «إن كان أحد يأتيكم ولا يجىء بهذا التعليم ، فلا تقبلوه فى البيت ، ولا تقولوا له سلام . لأن من يسلم عليه ، يشترك فى أعماله

الشريرة» (٢يو ١٠، ١١). هذا قد صار خارج المحلة، بخروجه على الفكر الرسولى، حتى قبل أن يصدر حكم ضده...

هناك نوع عجيب، فى أولئك الذين هم خارج المحلة:

يكون خارج المحلة بقلبه، بينما هو داخلها بشخصه.

إنسان يبدو أنه داخل المحلة. ولكنها فى أعماقه خارجها. روحه غير روح الجماعة، وفكره غير فكرها، وأسلوبه غير أسلوبها... وقد يأتى وقت على مثل هذا يخرج فيه عملياً خارج المحلة. عن هؤلاء قال الرسول عبارته المؤثرة:

«منا خرجوا. ولكنهم لم يكونوا منا. لأنهم لو كانوا منا، لبقوا معنا» (١يو ٢: ١٩)... حقاً إن أولاد الله مميزون أو ظاهرون (١يو ٣: ١٠) «من ثمارهم تعرفونهم».

كل هذا نقوله عن الخروج خارج المحلة على الأرض. ولكن أقسى نوع، وأقصى نوع، هو الوجود خارج المحلة فى الأبدية...

• خارج المحلة فى الأبدية

كل من يخرج خارج المحلة ههنا، قد يوجد أمل فى رجوعه إليها. ولكن لا أمل ولا رجاء، فيمن يكون خارج المحلة فى الأبدية.

من أمثلة ذلك العذارى الجاهلات.

يقول الإنجيل المقدس عن العذارى الحكيمات لما جاء الرب «المستعدات دخلن معه، وأغلق الباب» (متى ٢٥: ١٠). ولكن العذارى الجاهلات أتين متأخرات، بعد أن أغلق الباب. ووقفن وراء هذا الباب المغلق، وقفن خارج المحلة قائلات «ياربنا ياربنا إفتح لنا». فلم يسمعن سوى عبارة «...إنى لا أعرفكن».

إنه يأس رهيب، أن تسمع نفوس من فم الرب نفسه عبارة «الحق أقول لكن، إنى لا أعرفكن»... وتبقى هذه النفوس خارج المحلة، إلى الأبد...

مثال آخر لخارج المحلة فى قصة الغنى ولعازر.

هذا الغنى الهالك كان خارج المحلة المقدسة، التى يوجد فيها أبونا إبراهيم وفى حضنه لعازر المسكين. وقد اشتهى أن يأتى إليه لعازر، ولو ليبل لسانه بطرف أصبعه. ولكنه سمع من أبينا إبراهيم ذلك الواقع الرهيب، وهو:

« بيننا وبينكم هوة عظيمة قد أثبتت . حتى أن الذين يريدون العبور من ههنا إليكم لا يقدرون ، ولا الذين من هناك يجتازون إلينا » (لو١٦ : ٢٦) .

إن الأبرار سيكونون فى الأبدية معاً ، مع الله والملائكة ، فى أورشليم السمائية . أما الأشرار فإنهم سيكونون خارجاً .

ومكان الأشرار دعى فى الكتاب : الظلمة الخارجية .

إنها ظلمة لأنها منفصلة عن الله الذى هو النور الحقيقى . وهى ظلمة خارجية ، لأنها خارج أورشليم السمائية ، خارج جماعة القديسين ، خارج المحلة فى الأبدية .

ولهذا قال الرب عن العبد البطال « إطرحوه إلى الظلمة الخارجية . هناك يكون البكاء وصرير الأسنان » (متى ٢٥ : ٣٠) .

وقيل فى سفر الرؤيا « طوبى للذين يصنعون وصاياه ، لكى يكون سلطانهم على شجرة الحياة ، ويدخلون من الأبواب إلى المدينة . لأن خارجاً الكلاب والسحرة والزناة والقتلة وعبدة الأوثان ... » (رؤ٢٢ : ١٤ ، ١٥) .

إذن هم خارج المدينة المقدسة ، النازلة من السماء ، أورشليم السمائية ، مسكن الله مع الناس (رؤ ٢١ : ٢ ، ٣) . هم خارج هذه المحلة المقدسة ، لأن أعمالهم لا تؤهلهم للتواجد فيها ، ولأنه « لن يدخلها شىء دنس ، ولا ما يصنع رجساً وكذباً ، إلا المكتوبين فى سفر الحياة » (رؤ٢١ : ٢٧) .

الذى هو خارج المحلة هنا ، يكون خارجها هناك .

الذى هو خارج جماعة المؤمنين القديسين ، الذى هو خارج سفر الحياة .

ومع هذا كله لا يزال هنا أمل لمن هم خارج المحلة .

هناك جسر يوصل إلى داخلها إسمه التوبة .

فبالرجوع إلى الله ، يمكن الدخول إلى داخل المحلة مرة أخرى . وفى ذلك يقول الرب فى وعده المعزى « من يقبل إلىّ لا أخرجه خارجاً » (يو٦ : ٣٧) .

هناك إذن فرصة للعبور ، لأن الباب لم يغلق بعد ، والوعد مازال قائماً .

• المسيح تألم ليدخلنا المحلة

لقد أخذ وضعنا ، لكى يعطينا وضعه .

وضعنا كخطاه هو [illegible] ، وهو القدوس ، يصير خارج المحلة بدلاً منا ، لكي ندخل [illegible]

نزل من السماء إلى الأرض [illegible] إلى السماء . وصار إبناً للإنسان ليجعلنا أبناء لله ... حمل آثامنا [illegible] وقداسته .

أخذ الذى لنا ، وأعطانا الذى له

أخذ عقوبتنا ، لكي [illegible]

خرج خارج المحلة ، ليرفع [illegible] به نحن .

قبل أن يموت ، لكي يغفر [illegible]

أخذ ضعفنا ، لكي يهب [illegible]

قيل له « لو كان [illegible] ولكنه لم يشأ أن يفعل هذا ، لأنه لو كان قد رفض [illegible] فيما حل حكم الموت .

قال لنا : أحكموا عليكم [illegible] بدلاً منكم .

أعقوبتكم خارج المحلة ، سأحتمل أنا نيابة عنكم .

وبكل رضى وفرح ، وبكل حب [illegible] ذهب المسيح إلى خارج المحلة ، وحمل عارنا ، وحمل كل خطايانا [illegible] في جبل الجلجثة ، ومحاها بدمه ، إذ دفع عنا الثمن الذى [illegible] إلى الله الآبى .

ولما أسلم روحه الطاهرة [illegible] فأطلق [illegible] كانوا منتظرين فى الجحيم إلى رجاء . وفتح لهم باب الفردوس .

وقال للملاك صاحب السيف الناري الذى يحرس شجرة الحياة : رد سيفك إلى غمده ...

« أنا قد أتيت بهؤلاء الأبرار إلى الفردوس . وسيكون لهم الحق فى أن يأكلوا من شجرة الحياة . لقد انقضت فترة السبي التى قضوها خارج المحلة . وها هم يعودون مرة أخرى إلى رتبتهم الأولى ، وأفضل ... » .

فلنتذكر هذه الأمور كلها ، ونحن جلوس فى الكنيسة خارج الهيكل والمذبح ...

وكفانا الزمان العتيق الذى قضيناه بإرادتنا خارج المحلة .

الذى قضيناه خارج قلب الله المحب . وخارج حضن الكنيسة وعشرة القديسين .

نتبع الرب

في

شركة الأمة

عن محاضرة ألقيت بالكاتدرائية مساء الثلاثاء ١٧/٤/١٩٧٩

ومحاضرة ألقيت يوم جمعة ختام الصوم ١٩٧٠

إننا فى هذا الأسبوع نتتبع المسيح خطوة خطوة .

نتتبعه فى آلامه ، وفى كل الأحداث التى مرت ، ونحن نرتل له تسبحة مستمرة ، قائلين « لك القوة والمجد والبركة والعزة إلى الأبد آمين... » ونزيد عليها فى بعض الأيام عبارات توحى بها الأحداث .

نعيش معه كل يوم ، بأرواحنا وأفكارنا وأحاسيسنا .

بل وبكل كياننا . نستقى أخبار هذا اليوم ونبوءاتها من القراءات المقدسة ، ونعيش الأحداث التى مرت به . وكأننا نعمل مثلما قال له القديس بطرس الرسول « تركنا كل شىء وتبعناك » (متى ١٩ : ٧) .

فنحن فى البصخة المقدسة نترك كل شىء ونتبعه .

متذكرين أيضاً ما قيل عن النسوة القديسات إنهن تبعنه من الجليل يخدمنه (متى ٢٧ : ٥٥) . « وأخر كثيرات اللواتى صعدن معه إلى أورشليم » (مر ١٥ : ٤١) . ليتنا نشعر أننا نعيش معه هذا الأسبوع بنفس الشعور وبنفس الإحساس والعاطفة... نتبعه ، ونصعد معه .

ما أجمل ما قالته راعوث لنعمى « لا أتركك... حيثما ذهبتِ أذهب ، وحيثما بتِ أبيت... حيثما متِ أموت » (را ١ : ١٦ ، ١٧) . ونحن بنفس الشعور نتبع المسيح له المجد : حيثما ذهب خلال هذا الأسبوع ، تذهب أفكارنا معه وتأملاتنا . مشاعرنا معه ، نتبعه خطوة خطوة ، بنفس التسبحة :...

وهنا نعبر عن احتجاجنا عما صدر من آبائنا الذين قال لهم « تأتى ساعة وقد أتت الآن ، تتفرقون فيها كل واحد إلى خاصته ، وتتركوننى وحدى » (يو١٦ : ٣٢) .

كلا يارب ، لن نتركك أبداً وحدك ، متفرقين كل واحد إلى خاصته ، بل سنجتمع حولك .

سنجتمع حولك فى آلامك ، بكل مشاعرنا وبكل قلوبنا . لا نستطيع أن نتركك ، وأنت الذى لم تترك أحداً فى آلامه ، ولم تترك أحداً فى آلامك...

ونحن هنا نعتذر عن آبائنا الرسل الثلاثة ، الذين طلبت إليهم قائلاً : أمكثوا ههنا واسهروا معى » . فلم يستطيعوا... وعاتبتهم قائلاً « أما قدرتم أن تسهروا معى ساعة واحدة ؟! إسهروا وصلوا » (متى ٢٦ : ٣٨ ، ٤٠) . وللأسف تركوك وناموا ، لأن أعينهم كانت ثقيلة... ولكننا هنا يارب ، سنسهر معك الليل كله فى الصلاة ، وليس مجرد ساعة واحدة... بل نود أن نسهر معك البصخة كلها .

هنا وتعجبنى عبارة قالها بولس الرسول ، تصلح شعاراً لهذا الأسبوع وهى :

لأعرفه وقوة قيامته ، وشركة آلامه ، متشبهاً بموته (فى ٣ : ١٠) .

كثيرون عاشوا مع السيد المسيح ، وحتى الآن لم يعرفوه بعد ! بل حتى فى أسبوع الآلام نسمع السيد المسيح يقول لتلميذه فيلبس معاتباً « أنا معكم زماناً هذه مدته ، ولم تعرفنى يا فيلبس ! » (يو ١٤ : ٩) . ويخيل إلىّ أن السيد المسيح يقول نفس العبارة للكثير منا . وبعض الناس عرفوا السيد الرب . ولكنهم لم يدخلوا فى شركة آلامه . ولكننا فى البصخة المقدسة نود أن نقول له :

إسمح لنا يا سيد - ولو من بعيد - أن نشترك معك فى آلامك ، أو مجرد أن نكون معك فيها .

سنتتبع الأحداث وتاريخ هذا الأسبوع الكبير الذى مرّ بك ، يوماً فيوماً . ونقدم لك مشاعرنا فى كل يوم... إن الكتبة والفريسيين والكهنة لم يعرفوك ، أما نحن فقد عرفناك ، والعيب أن هؤلاء قد استغلوا إخلاءك لذاتك لكى يتجرأوا عليك...

فلنرجع بذاكرتنا إلى أحداث تلك الأيام . ومع أن سبت لعازر وأحد الشعانين ليسا من أيام أسبوع الآلام ، إلا أننا سنتناولها كمقدمة ، وباختصار شديد جداً...

سبت النور

كانت المعجزة الكبيرة التى أقام بها الرب لعازر من الموت ، معجزة مذهلة جعلت الكثيرين يؤمنون . ومع ذلك لم تترك تأثيراً روحياً فى رؤساء الكهنة والفريسيين . وانطبق عليهم قول أبينا إبراهيم « ولا إن قام واحد من الأموات يصدقون » (لو ١٦ : ٣١) . ولم يكتفوا بعدم الإيمان ، بل جمعوا مجمعاً ضد المسيح « ومن ذلك اليوم تشاوروا ليقتلوه (يو ١١ : ٤٧ ، ٥٣)... فما الذى أضاع هؤلاء ؟

لعل الذى أضاعهم : الذات وقساوة القلب .

كانت « الذات » تقف حائلاً بينهم وبين المسيح . فهم كانوا يبحثون عن عظمتهم الشخصية وعن مراكزهم ، لذلك نظروا إلى المسيح فى كل معجزاته كمنافس لهم فى السلطة والشعبية ! وفكروا أن يقتلوه... ولم يقولوا كيوحنا المعمدان ، ينبغى أن ذاك يزيد ، وإنى أنا أنقص » (يو ٣ : ٣٠) .

ليتنا فى هذا اليوم نذكر : كم مرة وقفت « الذات » عقبة فى طريق محبتنا لله ؟ وتعطل [illegible] الشخصية ، ورغباتنا وشهواتنا ، ومحبتنا للمديح .

كذلك قساوة القلب تطفىء كل عمل للروح .

والعجيب أن المعجزتين السابقتين لأسبوع الآلام ، عملت كل منهما فى يوم سبت . فتح عينى المولود أعمى ، وإقامة لعازر.

فهل اختار الرب يوم السبت بالذات ، ليصحح تفكير اليهود عن شرعية فعل الخير فى السبوت ، أو ليثبت أن الإنسان لا يجوز له أن يعتمد على كبرياء فكره ؟

على كل ليست تأخذ فكرة عن عمل الخير فى يوم الرب ، وإقامة الموتى بالخطية فيه ، وشفاء الذين فقدوا بصيرتهم الروحية . ومن جهة حياتنا فى التوبة نثق بأن :

الله قادر أن يقيمنا ، ولو كانت قلوبنا انتنت .

لا يأس إذن ، مادام السيد المسيح هو الذى يقيم ... والمعروف أن الخطية موت روحى . والمسيح قادر أن يقيم موت الجسد وموت الروح ، مهما طالت المدة .

ولنستعد يوم سبت لعازر ، لنتناول يوم أحد الشعانين .

نذكر موت لعازر وإقامته ، فنذكر خطايانا والقيام منها . ونستعد للتناول فى يوم الأحد الذى نستقبل فيه المسيح ملكاً .

أحد الشعانين

إنه يوم عيد سيدى ، نحتفل فيه بألحان الفرح ، قبل أن ندخل فى ألحان البصخة الحزينة . وفيه استقبل اليهود المسيح ملكاً ليملك على أورشليم ، ويخلصهم من حكم الرومان ، ولكنه رفض هذا الملك الأرضى . لأن مملكته روحية ...

المسيح رفض أن يملك على أورشليم ، ولكنه يفرح أن يملك على قلبك ...

قلبك عند الله ، هو أعظم من أورشليم . إنه هيكل للروح القدس ومسكن لله . فكّر كثيراً هل الله يملك عليك كلك : قلبك وفكرك وحواسك وجسدك ووقتك ...

قل له تعال يارب واملك . هوذا أنا لك ...

إن كانت مملكتك يارب ليست من هذا العالم . فتعالَ . عندى لك مملكة تناسبك ، تسند فيها رأسك وتستريح . لعلك تجد راحتك فى قلبى . وإن وجدت فيه عصاة أو متمردين عليك ... « تقلد سيفك على فخذك أيها الجبار . استله وانجح واملك » (مز ٤٤) .

لا تنشغل بالسعف فى هذا اليوم ، بل انشغل باستقبال المسيح فى قلبك ملكاً عليه ، فأنت تحتاج أن يملك الرب عليك ، لكى يدبر أهل بيتك حسناً .

أحد الشعانين

و

تطهير الهيكل

عن محاضرة ألقيت فى الكاتدرائية الكبرى يوم أحد الشعانين ١٦/٤/١٩٧٩
ومحاضرة أخرى عن أحد الشعانين سنة ١٩٧٧

في يوم أحد الشعانين دخل السيد المسيح إلى أورشليم كملك . ولم تواجهه في ذلك مشكلة من الرومان، لأنه لم يكن ينافس قيصر... إنما قامت المشكلة أمامه من الداخل، من داخل شعبه، من زعماء اليهود، إذ حدث خلاف بينهم في معنى الملك.

قبل المسيح أن يدخل أورشليم كملك ، إذ كان ملكوته قد اقترب . نعم اقترب اليوم الذى يقضى فيه على مملكة الشيطان، ويدوس بموته على الموت الذى أدخلته الخطية إلى العالم، فيؤسس ملكاً خاصاً. ولكن اختلف فهم اليهود معه في معنى الملك.

هو يريد ملكاً روحياً. وهم يريدون ملكاً دنيوياً .

إنه يريد أن يؤسس مملكة ليست من هذا العالم، مملكة روحية تبنى على الحب، يملك فيها الله لا الإنسان. ولكنهم كانوا يريدون مملكة كإحدى ممالك العالم، تبنى على السلطة، يكون رئيسها من نوع شمشون أو جدعون، أو يكون قائداً كيشوع. يريدون مظهراً خارجياً أساسه القوة والجيش. أما ملك الله عليهم فلم يفكروا فيه...

لقد هتفوا له « أوصنا يا ابن داود » . وكلمة أوصنا أو هوشعنا، معناها خلصنا... ولكنهم طلبوا منه الخلاص كإبن لداود، كوريث لعرشه وتاجه، وليس كإبن لله...

هو أراد أن يخلصهم من خطاياهم، فاسمه يسوع أى مخلص (مت ١ : ٢١). أما هم فما كانوا يريدون إلا خلاصاً من حكم الرومان.

لقد أراد أن يخلصهم من عبودية الشيطان والخطية والعالم، وهى عبودية أصعب بكثير من عبودية الرومان. لأن العبودية لقيصر قاصرة على غربة هذا العالم. بينما العبودية للشيطان تضيع أبدية الإنسان كلها...

كان المسيح يريد القلب، واليهود يريدون العرش.

هو يريد أن يحررهم من الخطية. أما هم فلا يشغلهم إلا التحرر من الحكم الأجنبي. وما كان يخطر لهم على بال ذلك الفهم الروحي الذى يقصده بعبارة «إن حرركم الإبن، فبالحقيقة تكونون أحراراً» (يو٨: ٣٦).

كان لا بد إذن من اصطدام بين فكره وفكرهم ...

عندما دخل إلى أورشليم كملك، فرح به البسطاء.

بينما تضايق منه الكهنة والشيوخ والكتبة والفريسيون.

عامة الشعب فرحوا به، لأنه كان متواضعاً لا يتعالى عليهم، وهوذا قد أتاهم وديعاً راكباً على جحش ابن آتان (زك ٩: ٩). إرتجت المدينة كلها للقائه (مت ٢١: ١٠). وبسبب المعجزات التى أجراها «آمن به كثيرون» (يو ١٢: ١٠). ويقول معلمنا لوقا الإنجيلى إن «الشعب كله كان متعلقاً به يسمع منه (لو ١٩: ٤٨)... هتف الكل له. وفرشوا ثيابهم فى الطريق، واستقبلوه بكل ترحيب...

أما الرؤساء فنظرتهم إليه لم تتجرد من الذات.

وهذه الذاتية أتعبت قلوبهم، وقادت كل تصرفاتهم، وأدت بهم إلى الحقد والمؤامرة والجرعة، الأمر الذى ما كان يتفق مع كهنوتهم، ولا مع علمهم، ولا مع مثالياتهم...

لقد أزعجهم ترحيب الشعب به، وتملكتهم الغيرة فحسدوه، وانتقدوا صياح التلاميذ وهتاف الأطفال... وقالوا «هوذا العالم قد ذهب وراءه» (يو١٢: ١٩).

عجباً. وأى ضرر فى أن يسير العالم وراءه؟

أليس هذا الذى اشتهاه يوحنا المعمدان من قبل، أن تكون العروس للعريس... وهو ينظر من بعيد ويفرح (يو ٣: ٢٩). ولكن هؤلاء الرؤساء والمعلمين لم يكونوا من نوع يوحنا المعمدان. بل لم يستطيعوا أن يقولوا إن معمودية يوحنا من السماء. وعندما سألهم السيد المسيح عن ذلك، قالوا لا نعرف (لو ٢٠: ٣، ٧). وكانوا يعرفون...

الذاتية قادتهم إلى محبة الإستحواذ على الجماهير.

قادتهم الذاتية إلى الباطل، إلى الكذب، وإلى محبة الظهور. وأسلمت داخلهم إلى ذهن مرفوض. فنظروا إلى المسيح كمنافس وكرهوه!

ولما دخل المسيح إلى أورشليم كملك ، لم يرحبوا به ، ورفضوا أن يملك عليهم . وهتفوا فيما بعد «ليس لنا ملك إلا قيصر» (يو ١٩ : ١٥) . بينما كانوا ينتظرون مجيء المسيا الذى يخلصهم من حكم قيصر حسب مفهومهم !! حقاً ما أسهل أن تقود محبة الذات إلى النفاق ، وإلى تملق الرؤساء ، إن كان فى ذلك تحقيق للذات ، حسبما يوهم الفهم المنحرف ...

أما رفض هؤلاء للمسيح ، فلم يضره بل أضرهم .

لقد أساءوا إلى أنفسهم وليس إليه . كان السيد الرب يؤسس الملكوت الذى حرموا أنفسهم منه . وكان يبنى الكنيسة ، ويدبر قضية الخلاص . أما هؤلاء الكهنة والشيوخ والمعلمون ، فكانوا منشغلين بسلبياتهم : يدبرون المؤامرات ، ويشجعون الخونة ، ويبحثون عن شهود كذبة ، ويفكرون فى قتل المسيح ، ويعملون على إثارة الشعب ضده . ويشعرون بملء السعادة إن ساعدهم الشيطان على تحقيق رغباتهم الآثمة ... !

ومعارضات هؤلاء الكهنة ومؤامراتهم ، لم تمنع ملكوت المسيح .

وهذا الملك الوديع الذى دخل إلى أورشليم راكباً على جحش . هذا الذى رفض أن يملك على أورشليم مفضلاً أن يملك على خشبة (مز ٩٥) ، والذى أسس ملكه الروحى ، والمسامير فى يديه ... إنتشر ملكه إلى أقصى الأرض على الرغم من كل المؤامرات ...

وأنت ، ما هى تأملاتك فى يوم أحد الشعانين ؟

فى اليوم الذى نودى فيه بالمسيح ملكاً على أورشليم ...

قل له تعال يارب واملك . ليأت ملكوتك فى قلبى ، وفى قلوب جميع الناس . ليأت ملكوتك على كل الشعوب وفى كل البلاد . لتعرف فى الأرض ، وفى جميع الأمم خلاصك (مز٦٦) .

إبعد يارب عنى كل ما يعرقل ملكوتك داخلى . إبعد عنى الذاتية التى منعت ملكوتك عن رؤساء كهنة اليهود . وابعد عنى الحرفية التى أبعدت الفريسيين عن ملكوتك . وابعد عنى الحسد والغيرة التى بسببها ابتعد الكتبة والشيوخ والرؤساء ...

أطلب من الرب أن يملك قلبك . إنما لا تخلقه أنت .

قل له « مستعد قلبى يارب مستعد قلبى » (مز ٥٦) . وافتح قلبك لكل تأثير

روحى، واقبل عمل الله فيك. ولا تطفىء الروح. ولا تتجاهل صوت الله فى داخلك...

كلنا نعترف بالمسيح ملكاً. وهو لم يرفض الملك بصفة عامة، إنما رفض الملك الدنيوى.

ملك المسيح هو ملك أزلى أبدى. وقد قيل عنه فى سفر الرؤيا مرتين إنه «ملك الملوك ورب الأرباب» (رؤ ١٩: ١٦، ١٧: ١٤). وقد قال عنه دانيال النبى «سلطانه سلطان أبدى ما لن يزول. وملكوته ما لا ينقرض» (دا٧: ١٤).

ومنذ ولادته، وكان هذا الملك هو التبشير الذى بُشر به الناس. فقد أتى المجوس قائلين «أين هو المولود ملك اليهود» (مت ٢: ٢). وكانت أولى هداياهم له هى الذهب إشارة إلى ملكه. وفى بشارة الملاك للعذراء قال عنه «يعطيه الرب الإله كرسى داود أبيه. ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد. ولا يكون لملكه نهاية» (لو١: ٣٢، ٣٣).

فما المعنى الروحى لجلوسه على كرسى داود أبيه ؟

كان لداود فى الملك قصة. لقد مسح ملكاً من صغره. ولكنه لم يتسلم ملكه بعد مسحه مباشرة... ولكن انتظر فترة، حتى مات شاول الملك المفروض. وحينئذ ملك داود. وهكذا السيد المسيح مسح ملكاً «بزيت البهجة أكثر من رفقائه» وغنى له المرتل فى المزمور «قضيب الإستقامة هو قضيب ملكك» (مز٤٤). ولكنه انتظر حتى أبصر الشيطان، رئيس هذا العالم» (يو ١٢: ٣١) «ساقطاً مثل البرق من السماء» (لو ١٠: ١٨). ثم ملك الرب أخيراً على خشبة (مز٩٥).

ونحن ننادى السيد المسيح بلقب : ملك السلام.

وذلك فى لحن (إب أورو) حيث نقول له «يا ملك السلام أعطنا سلامك».

وفى شرقية الكنيسة نرسم صورته كملك جالس على عرشه، تحيط به الحيوانات الأربعة غير المتجسدة، التى ترمز أحياناً إلى الأناجيل الأربعة...

والمسيح ملك للعالم كله، وليس لشعب معين.

كما أراد اليهود أن ينصبوه ملكاً عليهم وحدهم ! فى رقعة محدودة من الأرض، ولفترة محدودة من الزمن، هذا الذى «ليست لملكه نهاية»...

وعلى صليبه وضعوا لافتة : يسوع ملك اليهود (متى ٢٧ : ٣٧) .

وحتى اللص الذى كان إلى جواره على الصليب اعترف به ملكاً ورباً، وقال له «أذكرنى يارب متى جئت فى ملكوتك» (لو٢٣ : ٤٢)...

المسيح له ملك روحى ، يملك به على القلوب .

وله أيضاً ملك سماوى ، ملك أبدى .

ونحن نؤمن أنه يأتى فى ملكه ليدين الأحياء والأموات، الذى ليس لملكه انقضاء. وقد سماه الإنجيل ملكاً فى دينونته، إذ يقول فى ذلك «ثم يقول الملك للذين عن يمينه: تعالوا يامباركى أبى رثوا الملك المعد لكم منذ تأسيس العالم» (متى ٢٥: ٣٤). ونحن ننتظر ملكوته هذا، حينما يأتى فى مجد أبيه، على السحاب، مع ملائكته، فى ربوات قديسيه...

السيد المسيح رفض الملك المقدم له من الناس .

بعد معجزة الخمس خبزات والسمكتين، أرادوا أن يأتوا ويختطفوه ليجعلوه ملكاً» (يو٦: ١٥). ولكنه رفض وانصرف إلى الجبل وحده. وفى يوم أحد الشعانين هتفوا له كملك، فرفض أيضاً، لسببين: لأنه يرفض الملك الأرضى. وأيضاً لأنه لا يأخذ ملكاً من أيدى الناس، كما قال «مجداً من الناس لست أقبل» (يو٥ : ٤١).

إن له ملكاً مع الآب بحكم طبيعته الإلهية .

وله ملك آخر بالدم ، حين اشترانا بدمه .

لقد دفع دمه الكريم فداء عنا، واشترى حياتنا له بعد أن كنا مبيعين للموت بسبب الخطية. وأصبحنا بهذا الدم ملكاً له، لذلك قيل إنه «ملك على خشبة».

وقد حاول الشيطان بكافة الطرق أن يبعده عن هذا الملك، الذى يملكه بصليبه، عارضاً عليها أنواعاً أخرى من الملك...

بل كان الملك هو إحدى تجاربه على الجبل .

إذ عرض عليه الشيطان «جميع ممالك العالم ومجدها» (متى ٤ : ٨). ولكن المسيح رفض كل هذا، وانتهر الشيطان فذهب عنه.

السيد المسيح له ملكه الطبيعى ، ولا يأخذ ملكه من أحد .

وفى يوم أحد الشعانين باشر ملكه الروحى .

وبدأ هذا الملك بأمرين : أحدهما تطهير الهيكل ، وثانيهما تغيير القيادات الدينية الخاطئة الموجودة فى أيامه . وسنتأمل هذين الأمرين معاً ...

تطهير الهيكل

[illegible]

إن تطهير الهيكل يدل على سلطان مارسه السيد المسيح فى ذلك اليوم ، بكل قوة . ولم يستطع أحد أن يتصدى له أو يمنعه مما كان يفعله ... وهكذا :

طهر الهيكل بكل سلطان ، وبكل حزم وقوة .

« أخرج جميع الذين كانوا يبيعون ويشترون فى الهيكل » ،

« وقلب موائد الصيارفة ، وكراسى باعة الحمام » ،

ووبخ الناس بشدة قائلاً « مكتوب بيتى بيت الصلاة يدعى . وأنتم جعلتموه مغارة لصوص » (متى ٢١ : ١٢ ، ١٣) .

« ولم يدع أحداً يجتاز الهيكل بمتاع » (مر ١١ : ١٦) .

وحسب رواية الإنجيل لمعلمنا يوحنا البشير ، فى موضع مبكر ، يقول عن الرب إنه « صنع سوطاً من حبال ، وطرد الجميع من الهيكل الغنم والبقر ، وكبّ دراهم الصيارف ، وقلب موائدهم . وقال لباعة الحمام : إرفعوا هذه من ههنا » (يو٢ : ١٤-١٦) .

وهذا يرينا أن المسيح الوديع كان حازماً أيضاً .

لا شك أن موقف المسيح فى تطهير الهيكل ، يرينا مدى شخصيته المتكاملة ، التى تجمع الفضائل كلها . فهو وإن كان وديعاً ومتواضع القلب (متى ١١ : ٢٩) إلا أنه حينما يلزم الأمر ، يمكن أن يكون حازماً جداً ، يتصرف بقوة ، كما حدث فى ذلك اليوم ...

كان الرب حازماً ، بأسلوب لم يتعودوه من قبل . وكان حزمه ممزوجاً بالتعليم

«مكتوب بيتى بيت الصلاة يدعى». وهكذا نفذ ما يريد، بوضع الأمور فى وضعها السليم.

كان لا بد من تطهير الهيكل بأية الطرق ...

فالهيكل هو بيت الله. وبيت الله له قدسيته. وهذه القدسية واجب ينبغى الحفاظ عليه. والغيرة المقدسة تدعو إلى ذلك. وحسن أن السيد المسيح أعطانا قدوة ومثالاً فى هذا الأمر. ولذلك ورد بعد تطهيره للهيكل «فتذكر تلاميذه أنه مكتوب: غيرة بيتك أكلتنى» (يو٢: ١٧).

هؤلاء المخطئون فى الهيكل، صبر الرب عليهم زماناً، بكل هدوء.

ولما لم ينصلحوا بالهدوء، إستخدم معهم الشدة.

فى إصلاح أى إنسان، الرب مستعد أن يستخدم الكلمة الطيبة، وهو مستعد أيضاً أن يستخدم السوط، ولو للتخويف وليس للضرب. الأمران ممكنان. فبأيهما تريد أن ينصلح حالك؟

إن كنت حساساً سريع التأثر. قلبك يتبكت فى داخلك من كلمة روحية تسمعها أو تقرأها، من عظة، من لحن، من منظر، يقول لك الرب هذا يكفى. أما إن كنت لا تنتفع من الكلمة الطيبة، فالسوط ممكن: المرض، التجارب، الحوادث، الضيقات... والوسائل كثيرة. والرب يختار المناسب لك.

كالطبيب يمكن أن يستخدم الأدوية. فإن لم تنفع، يستخدم المشرط...

إن السيد المسيح لم يقم فقط بتطهير الهيكل، وإنما أيضاً:

أنذر بخراب هذا الهيكل، وبخراب أورشليم ...

لقد بكى على أورشليم وقال لها «ستأتى أيام يحيط بك أعداؤك بمترسة، ويحدقون بك ويحاصرونك من كل جهة. ويهدمونك وبنيك فيك، ولا يتركون فيك حجراً على حجر، لأنك لم تعرفى زمان افتقادك» (لو١٩: ٤٣، ٤٤).

وقال أيضاً «هوذا بيتكم سيترك لكم خراباً» (متى ٢٣: ٣٨). وذكر لتلاميذه صراحة أن الهيكل سوف لا يبقى فيه حجر على حجر (متى ٢٤: ١، ٢).

وقال «متى نظرتم رجسة الخراب - التى قال عنها دانيال - قائمة فى المكان المقدس، ليفهم القارىء. فحينئذ ليهرب الذين فى اليهودية إلى الجبال...» (متى ٢٤: ١٥، ١٦).

أما أنت أيها المبارك ، فإن سمعت فى أسبوع الآلام أن السيد المسيح قد طهر الهيكل وقد أنذر بخرابه ، أصرخ حينئذ وقل :

تعال يارب فى قوة ، وطهّر هيكلى أنا أيضاً .

أنسنا نحن أيضاً هياكل لله ، وروح الله يسكن فينا (١كو٣ : ١٦) ؟ إذن تعال يارب وطهر هيكلى . إقلب الموائد التى فيه ، قبل أن تقلبنى هى وتضيع أبديتى . لا تترك قلبى للرغبات والشهوات والإنفعالات ، فيصبح مثل سوق يبيعون فيه و يشترون . إنما إنضح علىّ بزوفاك فأطهر . وحينئذ يمكننى أن أنشد معك « بيتى بيت الصلاة يدعى » . إفعل يارب هذا بسرعة ، قبل أن يخرب الهيكل .

إن السيد المسيح لم يقم فقط بتطهير الهيكل من الباعة ، وإنما قام أيضاً بتطهيره من القيادات الدينية العابثة به ، إستكمالاً لهذا التطهير ، وتمهيداً لنشر ملكوته الروحى ...

[redacted]

لكى نفهم هذه النقطة التى لجأ إليها السيد ، علينا أن نتتبع الأمور منذ تطهيره الهيكل لنرى ماذا حدث .

ماذا فعل قادة اليهود إزاء تطهير الهيكل ؟

لم يقدروا أن يتصدوا للمسيح فيما فعل أو يمنعوه . إنما « كان رؤساء الكهنة والكتبة ووجوه الشعب يطلبون أن يهلكوه » (مر ١١ : ١٨ ، لو ١٩ : ٤٧) . والذى عاقهم هو أنهم خافوا الشعب . فانتظروا الفرصة المناسبة لتنفيذ مؤامرتهم .

وكل ما فعلوه ، إنهم قالوا له لما قابلوه « بأى سلطان تفعل هذا ؟ » (متى ٢١ : ٢٣ ، لو ٢٠ : ٢) . ولم يعطهم إجابة ، بل سألهم سؤالاً عن يوحنا المعمدان أسكتهم فصمتوا .

كان السيد المسيح مزمعاً أن يعين قيادات لكنيسته .

فكان من الطبيعى تغيير هذه القيادات القائمة .

هذه القيادات التى لا تفهم ملكوت الله بطريقة روحية ، والتى لا تسلك سلوكاً روحياً ، بل تضلل الشعب وتتحكم فيه ... هذه القيادات التى تعاهدت على أن كل

من يعترف بالمسيح لا بد أن تخرجه من المجمع (يو ٩ : ٢٢). بهكذا أصبحت عائقاً فى طريق ملكوت الله... لذلك كان لابد من تغييرها. وكان الرب قد صبر على كل هؤلاء، من كتبة، وفريسيين، وصدوقيين، وناموسيين، وكهنة، ورؤساء كهنة، وشيوخ. واحتملهم زماناً طويلاً، بطول أناة عجيبة، وبهدوء ووداعة. أما الآن فالوقت مقصر، ولم تبق سوى أيام على الجلجثة.

كان لا بد من تغيير الكهنوت اليهودى.

وذلك لسببين: أولها أن المسيحية ستقوم على كهنوت آخر على طقس ملكى صادق (عب ٧)، يختلف عن الكهنوت الهارونى الذى يقوم بتقديم ذبائح حيوانية، كانت مجرد رمز إلى ذبيحة المسيح. وانتهى عهد تلك الذبائح الحيوانية. كما أن الكهنوت الهارونى كان بالوراثة من نسل هرون. أما الكهنوت المسيحى فسيكون لكل من هو مستحق، ولا يتقيد مطلقاً بسبط معين أو أسرة معينة.

وهناك سبب آخر لتغيير الكهنوت اليهودى، وهو أنهم سلكوا فيه بطريقة خاطئة، وارتكبوا شروراً عديدة لا تجعلهم مستحقين للكهنوت، فكان لابد من إدانتهم علناً، حتى لا يكونوا عائقاً أمام الشعب، وأمام الكهنوت المسيحى الجديد.

وهكذا ضرب المسيح للكهنة مثل الكرامين الأردياء.

وختم هذا المثل بقوله لهم «لذلك أقول لكم إن ملكوت الله ينزع منكم، ويعطى لأمة تعمل أثماره» (متى ٢١ : ٤٣). وأراهم أن رفضهم له يضربهم هم ويسحقهم، وأشار إلى قول المزمور «الحجر الذى رفضه البناءون، هذا قد صار رأس الزاوية». ثم أنذرهم بأن عداوتهم له ستنتهى - بضياعهم فقال «من سقط على هذا الحجر يترضض. ومن سقط هو عليه يسحقه». يقول الكتاب «ولما سمع رؤساء الكهنة والفريسيون أمثاله، عرفوا أنه تكلم عليهم» (متى ٢١ : ٤٤، ٤٥).

لكنهم لم يتوبوا، ولم يستفيدوا من إنذاره.

وإنما يقول الكتاب عنهم بعد سماعهم لإنذار المسيح «وإذ كانوا يطلبون أن يمسكوه، خافوا من الجموع...» (متى ٢١ : ٤٦)... بل إنهم بعد هذا الكلام بيوم، بدأوا يتفقون مع يهوذا على خيانته لمعلمه وتسليمه لهم مقابل مال يعطونه له...

أما السيد المسيح، فالتفت إلى باقى الأصنام الموجودة فى أيامه ليحطمها، ويريح تلاميذه منها، قبل أن يسلم روحه فى يدى الآب.

وهكذا أيضاً وبخ الكتبة والفريسيين توبيخاً مراً .

إنه لم يفعل ذلك من قبل . بل أخذ فترة طويلة يقابل كل انتقاداتهم وتشهيراتهم بالحوار والتعليم ، بكل هدوء . ولكنهم لم يشاءوا أن يستفيدوا ... وحتى فى هذا الأسبوع ، وبعد تطهير الهيكل من الباعة « ذهب الفريسيون وتشاوروا لكى يصطادوه بكلمة » (متى ٢٢ : ١٥) . ولكن السيد أفحمهم فى كل مناقشاتهم معه ، وأحرجهم ، وخصوصاً بعد سؤاله لهم عن علاقة المسيح بداود : هل هو إبنه أم ربه « فلم يستطع أحد أن يجيبه بكلمة . ومن ذلك اليوم لم يجسر أحد أن يسأله البتة » (متى ٢٢ : ٤٥ ، ٤٦) . وهكذا وبخهم الرب بشدة وقال :

ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراءون (متى ٢٣) .

وكان ذلك قبل الفصح بيومين فقط (متى ٢٦ : ٢) . وقد أراد أن يكشفهم قبل أن يصلب ، حتى لا يبقى لهم تأثير على الشعب فيما بعد يعطل الملكوت .

فقال لهم إنهم قادة عميان ، وإنهم يعلمون تعليماً خاطئاً ، وإنهم يحبون المتكأ الأول ومديح الناس ، وأنهم يحملون الناس أحمالاً ثقيلة عسرة الحمل ... وأنذرهم قائلاً « كيف تهربون من دينونة جهنم ؟! » . وحمّلهم مسئولية الدماء الذكية التى سُفكت ... وقال إنهم يغلقون ملكوت السموات ، فما دخلوا ولا جعلوا الداخلين يدخلون (متى ٢٣) .

إنها ثورة قادها المسيح قبيل صلبه ضد « القبور المبيضة من الخارج ، وفى داخلها عظام نتنة » ... وكما وبخ الكتبة والفريسيين ،

كذلك أبكم الصدوقيين والناموسيين ...

كان الصدوقيون لا يؤمنون بالأرواح ولا الملائكة ولا القيامة ... ومع ذلك كانوا طبقة بارزة وسط اليهود ، وكان منهم رؤساء كهنة ... وقد حاولوا فى هذا الأسبوع الأخير أن يحرجوا المسيح بسؤال عن القيامة من جهة المرأة التى تزوجت سبعة ، الواحد تلو الآخر بعد موته ، لمن تكون فى القيامة ، فأجابهم إجابة شعر بها الكل أنه أبكم الصدوقيين (متى ٢٢ : ٣٤) . فسقطت هيبتهم حتى أمام الفريسيين « ولم يتجاسروا أن يسألوه عن شىء » (لو ٢٠ : ٤٠) .

وحدث أنه لما جلب الرب الويلات على الكتبة والفريسيين ، أن الناموسيين قالوا له « يا معلم ، حين تقول هذا تشتمنا نحن أيضاً » (لو ١١ : ٤٥) فأجابهم قائلاً :

وويل لكم أنتم أيها الناموسيون ...

وصب عليهم نفس الويلات ونفس الإدانات التى صبها من قبل على الكتبة والفريسيين (لو ١١ : ٤٦- ٥٢). فكلهم مجموعة واحدة من المعلمين الكذبة، يجب أن تسقط هيبتهم أمام الناس، لكى يفسحوا المجال أمام تلاميذ المسيح...

وهكذا قامت حركة التطهير التى قادها المسيح .

لم يتركها لتلاميذه ، لئلا يكون الموقف صعباً عليهم ، بل قادها بنفسه . ووقف بهذا أمام رؤساء الكهنة والكهنة والكتبة والفريسيين والناموسيين والصدوقيين. وتآمر الكل ضده ليصلبوه. ولم يبالِ بشىء من هذا لأنه جاء ليبذل نفسه عن العالم كله، ولكى يضع أمام الناس التعليم السليم النقى. ولم يشأ أن يسقى هؤلاء المعلمين الخاطئين، لأنه فى تأسيس الكنيسة :

لن يضع رقعة جديدة على ثوب عتيق .

وهكذا فى كنيسة المسيح إختفت كل هذه الطوائف ، لا كتبة ولا فريسيين ولا صدوقيين ولا ناموسيين... ودفع السيد المسيح ثمن حركة التطهير هذه، وتألم لكى نستريح نحن. ومن أجلنا إحتمل ظلم الأشرار.

وأنت أمام تطهير الهيكل إسأل نفسك :

هل أنا من الكرامين الأردياء كهؤلاء ؟ أم خدمتى مقبولة ؟

هل أنا من المقاومين للمسيح ؟ هل الذاتية تتعبنى مثلهم ؟

هل أنا فى تعاملى ، أحتمل الناس أحالاً عسرة ؟

هل أنا أتعاون مع المسيح فى تطهير هيكلى ، أم أقاومه كما قاومه أولئك الذين نزع الملكوت منهم ؟

وفى تطهير المسيح للهيكل ، أطلب منه أيضاً أن يطهر كل مكان مقدس يدعى عليه إسمه.

وليتك تتفق مع المسيح وتقول :

بيتى بيت الصلاة يدعى .

بيت عنيا، بحرة الدين

أو

السيد المسيح بين المخلصين له والمرائين المتآمرين عليه

عن محاضرة ألقيت فى الكاتدرائية يوم اثنين البصخة سنة ١٩٧٢

من العبارات المؤثرة فى قصة آلام المسيح ، قول الكتاب عنه :

وخرج خارج المدينة إلى بيت عنيا وبات هناك (متى ٢١ : ١٧).

ولعل بعضكم يسأل : وأى شىء مؤثر فى هذه العبارة ؟ فنجيبه ونقول إن السيد المسيح قام ضده كثيرون : رؤساء الكهنة ، وشيوخ الشعب ، والكتبة والفريسيون والصدوقيون وغيرهم ، وتآمروا عليه ليقتلوه . ولكن على الرغم من كل تلك المؤامرات التى تدبر ضده ، كانت هناك قلوب مخلصة تحبه فى بيت عنيا ... فبات هناك .

بيت عنيا إذن - بالنسبة إلى السيد المسيح -

تمثل القلوب المخلصة التى تحبه ، ويرتاح إليها .

فى وسط المتاعب التى لاقاها فى مدينة أورشليم . وجد راحته فى قرية بيت عنيا . كانت أورشليم مدينة عظيمة ، ولكنها مملوءة بالمؤامرات ، ومملوءة بالصخب وبالضجيج وبالدسائس ، وفيها قادة متعبون . أما بيت عنيا فكان يوجد فيها لعازر الذى بكى عليه المسيح حتى قال الناس « أنظروا كيف كان يحبه » ... وكان فيها الشعب المحب الذى التف حول الرب وآمن به بعد إقامته لعازر . وكانت فيها مريم التى تمثل التأمل ، ومرثا التى تمثل الخدمة . وكانت فى بيت عنيا البساطة التى لا توجد فى المدينة .

هذه القرية المباركة ، كانت فيها قلوب مخلصة للرب . لذلك فضّل أن يقضى فيها الأيام السابقة لصلبه ... نعم ، فضلها على أورشليم .

أورشليم المدينة الكبيرة ، لم يكن قلبها كبيراً مثلها .

أورشليم مدينة الملك العظيم ، تآمرت على الملك العظيم ، ولم تستحقه « إلى خاصته جاء ، وخاصته لم تقبله » (يو ١ : ١١) . وهكذا تركها ليبيت فى بيت عنيا ...

أورشليم التى أحسن الرب إليها ، وقدّس إسمها فلا يحلف به (متى ٥ : ٣٥) ، هذه المدينة العظيمة لم يكن فيها حب ، حتى بكى الرب عليها قائلاً « يا أورشليم يا أورشليم ، يا قاتلة الأنبياء ، وراجمة المرسلين إليها ... » (متى ٢٣ : ٣٧) .

أورشليم لها إسم مشهور ، وبيت عنيا بلا شهرة .

ربما لا يعرف الكثيرون منكم تاريخاً لبيت عنيا، وأين هي. فليست لها شهرة مثل أورشليم. ولكنها كانت مملوءة بالوفاء والإخلاص والحب، فوجد الرب راحته فيها... وهكذا أهمية كل إنسان أمام الله، ليست فى شهرته، إنما فى محبته.

اليهود كانت لهم شهرة فى الإيمان. والأمم لم تكن لهم هذه الشهرة، لكن كانت لهم قلوب مستعدة. فاستطاعوا أن يسبقوا اليهود إلى قلب الله وإلى أحضان إبراهيم... ووجد الله راحته فيهم.

وكان الأمم بيت عنيا أخرى.

يشهد بهذا بولس الرسول، الذى لما رفض اليهود كرازته، إتجه إلى الأمم، ووجد هناك قلوباً مفتوحة (أع ٢٨: ٢٨) أكثر إستعداداً من معلمى الناموس والفريسيين...

بيت عنيا برمزها الروحى، لها أمثلة فى الكتاب.

حيث فى أوقات كثيرة، نجد فى وسط الظلمة المحيطة، تشرق أنوار تعيد إلينا ذكرى بيت عنيا. وكثيراً ما كانت تلك الأنوار بدء تاريخ جديد، وعهد بين الله والناس، حينما يجد الله وسط شرور الكثيرين قلوباً محبة يستريح إليها. وسنحاول هنا أن نضرب أمثلة من الكتاب -غير مثال الأمم- تشرح المعنى الروحى لبيت عنيا... وأعنى:

القلب الذى يقترب، وسط بعد الكثيرين...

٢ - فى وقت من الأوقات، إمتلأ العالم كله شراً. الكل زاغوا وفسدوا وبعدوا عن الرب. وقرر الله أن يفنى كل حياة على الأرض. ولكنه فى وسط كل هذا الفساد المنتشر وجد قلباً يحبه ويطيعه هو قلب نوح البار، ومعه أسرته. فأخذهم الرب، ووضعهم فى الفلك وبدأ بهم تاريخاً جديداً للبشرية، إذ وجد راحته فيهم.

وكان الفلك بيت عنيا للرب، فبات هناك.

كان الفلك هو مسكن الله مع الناس... المكان الوحيد الذى استطاع الرب أن يسند رأسه فيه. يجد فيه حباً ووفاءاً ونقاوة قلب، فى ذلك العصر المظلم.

٣ - وتكرر الأمر حين أراد الرب أن يهلك سدوم، لأن شرها قد كثر وخطيتها قد عظمت جداً. ولم يجد الرب له أحداً فى سدوم، سوى لوط البار، الذى أمكن أن يلجأ الملاكان إلى بيته من شر الشعب الفاسد (تك ١٩: ٣، ٤).

فكان بيت لوط بيت عنيا للملاكين وللرب .

كان البيت الوحيد فى المدينة الذى يمكن أن يستريح فيه الرب بعيداً عن ضوضاء الجميع . ولذلك أنقذ الرب لوطاً من الهلاك الذى حل بسدوم وسكانها ...

٤ ـ وكان أبونا إبراهيم بيت عنيا للرب .

كان الشر فى الأرض قد كثر ، حتى فى نسل نوح البار . وعرف الناس عبادة الأصنام وانتشرت بينهم جداً . فبحث الله عن قلب يستريح إليه ، ويكون بداءة لشعب يعرفه ، ويقيم معه عهداً ، فوجد إبراهيم ، وباركه ، وكوّن به شعباً جديداً ، لكيما بنسله تتبارك جميع قبائل الأرض (تك ١٢ : ٣) . وصار إبراهيم صديقاً للرب ، يفتح الرب له قلبه ، ولا يخفى عنه ما هو فاعله (تك ١٨ : ١٧) . إنه صورة لبيت عنيا .

٥ ـ وهكذا كان يوسف فى أرض مصر .

مصر كلها ، كانت تعبد حسب ديانتها القديمة آلهة كثيرة تحت زعامة رع وآمون . والوحيد وسط كل هؤلاء الذى كان يعبد الرب فى مصر ، كان هو يوسف الصديق ، ثم انضمت إليه أسرته فيما بعد . ووجد الرب له « بيت عنيا » فى مصر ، كيما يبيت هناك .

٦ ـ وبالمثل كان موسى النبى على الجبل .

صعد إلى الجبل ، ليأخذ لوحى الشريعة من الله . ومكث مع الرب أربعين يوماً . ولما وجد الشعب أنه تأخر عليهم ، صنعوا عجلاً ذهبياً وعبدوه . ولم يبق أحد على الأرض كلها وقتذاك يعبد الرب من قلبه سوى موسى النبى وحده . كان هو بيت عنيا بالنسبة إلى الرب ... القلب الوحيد الذى وجد راحته فيه .

٧ ـ وأيضاً إيليا النبى والسبعة آلاف ركبة .

إنتشرت عبادة الأصنام فى أيام آخاب الملك وزوجته إيزابل . وعبد الناس البعل ، وقتلوا أنبياء الله ، وهدموا مذابحه ، حتى قال إيليا النبى « وبقيت أنا وحدى » (١مل ١٩ : ١٠) . ولكن الرب ردّ بأنه أبقى لنفسه سبعة آلاف ركبة لم تجث للبعل (١مل ١٩ : ١٨) . وكان إيليا وعوبديا وهؤلاء السبعة الآلاف هم بيت عنيا للرب أيام آخاب . كانوا هم الوحيدين الذين أخلصوا للرب ، فأصبح يستريح لهم ، ويبيت هناك .

ويعوزنا الوقت أن نذكر أمثلة أخرى .

فالله فى كل جيل لم يترك نفسه بلا شاهد (أع ١٤ : ١٧) .

والنفوس المخلصة كثيرة ، بعضها ظاهر، وبعضها يعمل فى الخفاء دون أن يُرى . وفى كل مكان على الأرض توجد للرب «بيت عنيا» وأكثر.

٨ ـ وكان الإثنا عشر أول بيت عنيا فى المسيحية .

كانوا القلوب المخلصة جداً للرب التى ائتمنها على رسالته وملكوته . كانوا هم خاصته الذين قيل عنهم فى الإنجيل «أحب خاصته الذين فى العالم، أحبهم حتى المنتهى» (يو ١٣ : ١) . وقد دافعوا عنه بكل قوتهم . وكانوا له شهوداً فى كل مكان (أع ١ : ٨) . وكانوا بيت عنيا للرب ، إستراح فيه طول حياتهم على الأرض...

ولعل يوحنا الحبيب كان أكثرهم ، وهو الذى تبعه إلى الصليب .

٩ ـ وعلى الصليب ، وجد الرب أيضاً بيت عنيا .

الكل أنكروه واستهزأوا به ، حتى أحد اللصين المصلوبين معه . ولكن الرب وجد قلوباً أخرى تحبه وتخلص له وتعترف به ، وهو مصلوب أمامهم . ولعل فى مقدمة هؤلاء مريم العذراء و يوحنا الحبيب والمجدلية ومريم زوجة كلوبا ، أولئك الذين التصقوا بصليبه إلى آخر لحظة ، لم يفارقوه ، حتى بعد موته ، حيث انضم إليهم نيقوديموس و يوسف الرامى... وكانوا بيت عنيا للرب استراح فيهم حين تركه الجميع (متى ٢٦ : ٥٦ ، ٥٧ ، يو١٩ : ٢٦ ، ٢٧) .

١٠ ـ وكان اللص اليمين بيت عنيا أخرى للرب .

كان شريك الألم ، ورفيق الصليب . وقد شهد للرب علانية ، وهو فى عمق آلامه . واستراح الرب لصحبته ، وأخذه معه من الصليب إلى الفردوس . وكان أول بيت عنيا تدخل من الجلجثة إلى الفردوس . حقاً ما أعجب وما أعمق هذا القلب الذى يأخذ الرب فى داخله ، أو يأخذه الرب فى داخله ، وكلاهما على الصليب...

على أننا فى ذكرنا لبيت لعازر ومريم ومرثا ، الذى أقام فيه الرب أياماً قبيل صلبه ، لا يمكن أن ننسى بيتاً آخر دخله الرب فى هذا الأسبوع وهو:

١١ ـ بيت مريم أم مرقس الرسول .

هذا البيت الذى فى عليته غسل الرب أرجل تلاميذه ، واحتفل بالفصح معهم ، وكذلك أقام العشاء الربانى وأسلمهم هذا السر العظيم . وفيه تحدث مع تلاميذه

حديثاً طويلاً شمل أربعة أصحاحات من إنجيل يوحنا (يو ١٣- ١٧). ووعدهم بإرسال الروح القدس إليهم. وفعلاً حلّ الروح القدس فى هذا البيت فى يوم الخمسين. بل صار هذا البيت أول كنيسة فى المسيحية (أع ١٢: ١٢). وصار «بيت عنيا» ليس فقط للرب، وإنما لتلاميذه أيضاً وللكنيسة كلها. وجد الجميع راحتهم فيها. وبهذه المناسبة:

١٢ - نحيى النسوة اللائى وهبن بيوتهن للكنيسة.

كما وجهنا تحيتنا للنسوة القديسات مريم ومرثا، ومريم أم مرقس الرسول، نوجه تحيتنا أيضاً إلى كل القديسات اللائى وهبن بيوتهن للرب لتكون كنائس: مثل بيت ليديا بائعة الأرجوان، هذا الذى صار كنيسة، وصار بيت عنيا لبولس وسيلا، ذهبا إليه لما خرجا من السجن (أع ١٦: ١٥، ٤٠). ومثل بيت أكيلا وبريسكلا، اللذين وضعا عنقيهما من أجل حياة بولس الرسول، وذكر هذا الرسول «الكنيسة التى فى بيتها» (رو ١٦: ٣- ٥). وغير أولئك كثيرات...

وهناك أمثلة من قديسات العهد القديم.

مثل أرملة بيت صيدا التى فتحت بيتها لإيليا النبى، وأقام فى علية عندها (١مل ١٧: ٩، ١٩). وأصبح منزلها بيت عنيا بالنسبة إليه، عاش فيه وقت المجاعة.

ونذكر أيضاً القديسة الشونمية، التى فتحت بيتها لأليشع النبى، فأقام فى علية عملتها له (٢مل ٤: ١٠) وكان بيتها بيت عنيا بالنسبة إليه. كان بيتاً يحبه ويقدسه ويفرح لقدمه. وكان هو يستريح لهذا البيت، يميل إليه ويبيت هناك.

إنه الحب الذى يقدمه هؤلاء لله ورجاله.

أحب السيد المسيح الحب الذى فى قرية بيت عنيا، والقلوب التى فيها، المفتوحة له فى إخلاص عجيب... بعيداً عن ضوضاء أورشليم ومؤامراتها.

والأيام السابقة لصلبه: كان يقضى جزءاً منها فى بيت عنيا، ثم يذهب إلى الهيكل، ويرجع مرة أخرى إلى بيت عنيا، ويبيت هناك.

مقدس وعجيب هو بيت مريم ومرثا.

الذى باركه المسيح فى الأيام السابقة للصلب...

ومقدسة وعجيبة هى مريم أخت لعازر، التى أخذت فى تلك الأيام قارورة طيب ناردين خالص كثير الثمن، وسكبتها على رأس المسيح وهو جالس فى بيت

سمعان الأبرص فى بيت عنيا . ولما تضايق التلاميذ قائلين « لماذا هذا الإتلاف ؟! » ، دافع السيد عن مريم قائلاً « أتركوها ، لماذا تزعجون المرأة ؟ إنما فعلت ذلك لأجل تكفينى » (متى ٢٦ : ١٢) . بل قال لهم أيضاً عنها « حيثما يكرز بهذا الإنجيل فى كل العالم ، يخبر أيضاً بما فعلته هذه المرأة تذكاراً لها » (مر١٤ : ٩) .

وقال القديس يوحنا الحبيب إنها فى تلك المناسبة دهنت قدمى المسيح بالطيب ، « ومسحت قدميه بشعرها ، فامتلأ البيت من رائحة الطيب » (يو١٢ : ٢ ، ٣) .

مباركة تلك البيوت التى استقبلت المسيح .

ولم يكن بيت مريم ومرثا هو الوحيد الذى زاره الرب فى بيت عنيا فى تلك الأيام ، وإنما هى بيوت كثيرة قد فتحت له ، من البقية المخلصة التى ثبتت فى محبته ...

ولم تتركه ، حينما تركه الكل ...

ما أكثر البيوت التى دخلها السيد المسيح ... إما واعظاً ومعلماً ، كالبيت الذى نقبوا سقفه وأنزلوا منه المفلوج (مر ٢ : ٣) . وإما ضيفاً ، كبيت سمعان الفريسى (لو ٧ : ٣٦) . وإما مجاملاً كالبيت الذى أقيم فيه العرس فى قانا الجليل (يو ٢) ... وإما هادياً وقابلاً للخطاة ، كدخوله بيت زكا العشار (لو ١٩ : ٧) وغيره من العشارين ...

ولكننا لسنا نقصد هنا شيئاً من كل هذا ، إنما أردنا أن نركز على البيوت التى دخلها فى أسبوع الآلام التى فتحت له بينما يتآمر رؤساء اليهود على قتله ... وبخاصة البيوت التى أقام فيها فى بيت عنيا ...

فهل بيتك أنت أيضاً من البيوت المفتوحة للمسيح ؟

هل بيتك مستعد أن يستضيف المسيح فى هذه الأيام المقدسة . إن المسيح مستعد أن يأتى إلى بيتك . المهم أن تكون مستعداً لاستقباله ، ولا تكون مشغولاً عنه بشىء . ويكون بيتك فى حالة من القداسة اللائقة بحلول الرب فيه .

ليتك فى هذه الأيام تستقبل الرب بالحرى فى قلبك وفكرك .

□ □ □

كان السيد المسيح فى بيت عنيا . وفى صباح الإثنين ذهب إلى الهيكل وفى الطريق جاع . فوجد أمامه شجرة تين فتقدم إليها .

إسمح لى هنا أن نتأمل معاً موضوع شجرة التين :

جاع فى الطريق

فى عودة المسيح من بيت عنيا إلى أورشليم ، يقول الكتاب :

وفى الصباح ، إذ كان راجعاً إلى المدينة جاع (متى ٢١ : ١٨) .

لقد تعجبت عندما قرأت هذه العبارة ... إذ يمكن أن يجوع الإنسان فى الليل ، إن صام طول النهار. ولكن ما معنى أن المسيح يجوع «فى الصباح»؟ لا يوجد تفسير إلا تفسير واحد ، وهو أنه قضى اليوم السابق كله صائماً ، وربما عدة أيام أخرى أيضاً ، ولم يأكل فى المساء . فأصبح جائعاً . ونفهم من هذا أنه :

لما ذهب إلى بيت مريم ومرثا ، لم يأكل هناك .

ربما انفرد بنفسه ، وقضى الليل كله فى التأمل . وربما قضى الوقت فى الجبل (لو ٢١ : ٣٧) ، أو ربما قضى وقتاً ينصح فيه هذه البقية المخلصة كيف تعيش بعد صلبه ... ربما تكون مرثا قد أعدت طعاماً للمسيح ، ولكنه فى ذلك الوقت لم يكن راغباً فى الأكل . كانت هناك أمور كثيرة تشغل ذهنه ...

حينما يكون الإنسان حزيناً ، لا يستطيع أن يأكل .

وحينما يكون منشغل الفكر بأمور خطيرة ، لا يتركها ليأكل ، بل يجد أن الأكل يعطله ... ولا يشك أن السيد المسيح فى تلك الأيام ، كان منشغل الفكر فى كيف يخلص العالم من عقوبة خطاياه ، ويخلص حتى المتآمرين عليه ... والذين سيهتفون بعد أيام «أصلبه أصلبه» ... لذلك فى الصباح إذ كان راجعاً إلى المدينة جاع .

أو لعله كان فى بيت عنيا ، يتغذى بمحبة القلوب المخلصة له . ولما تركها واقترب من أورشليم الخائنة التى تتآمر عليه جاع . ونحن نتعجب من عبارة «جاع» ونقول :

لولا أنه أخلى ذاته وصار مثلنا ، ما جاع ! وما عطش على الصليب !

شجرة التين

لما جاع نظر شجرة تين محملة بالأوراق ، فجاء إليها لعله يجد فيها ثمراً ، فلم يجد شيئاً . مجرد أوراق ، منظر جميل من الخارج ، ومن الداخل لا شيء .

شجرة التين تذكرنا بخطية أبينا آدم ،

الذى حاول أن يغطى عريه بورق التين .

ولعل السيد المسيح قد جاء يقدم له الخلاص ، قبيل الموعد الذى ارتكب فيه خطيته ، أعنى موعد ظهور ورق التين . أتى إلى شجرة التين ، لعلها تكون قد غيرت سلوكها القديم ، ولم تعد تذكر بالخطية . ولكنه وجدها على نفس الحال .

إن ورق التين رمز لتغطية الخطية دون علاجها .

إنه دليل على الرياء ... فآدم غطى عريه بورق التين ، وظهر من الخارج مستوراً ومغطى . ولكنه كان فى حقيقته من الداخل قد فقد نقاوته وبساطته . لقد اهتم آدم بالمظهر الخارجى ، دون علاج الداخل . ومن ذلك أصبح ورق التين الذى غطى على عرى آدم وحواء ، رمزاً للرياء ، وللإهتمام بالمظاهر ، ولتغطية الخطية دون علاجها .

نفس الرياء كان فى شجرة التين . أوراق بلا ثمر .

مظهر خارجى براق ، وفراغ من الداخل . أوراق لا تغطى ثمراً ، إنما تغطى عرياً ، تماماً كما فى قصة آدم وحواء ... ولما لم يجد فيها ثمراً بل ورقاً ، لعنها «فيبست فى الحال» (متى ٢١ : ١٩) .

ولعنه للتينة ، لعن المظاهر الخارجية والرياء .

نفس المظاهر التى وجدها فى المرائين فى أيامه ... القبور المبيضة من الخارج ... الكأس الذى ينظفونه من الخارج فقط . الذين يهتمون كثيراً بغسل أيديهم ، بينما أيديهم ملآنة دماً ... إنه الورق الذى يعطى منظراً خداعاً ، والحقيقة لا ثمر ...

رأى الرب فى التينة صورة الكتبة والفريسيين .

لقد كانوا مثلها ، أشجاراً مورقة ، بلا ثمر ... فأخجلهم بلعن التينة .

ولذلك نجده بعد ذلك بقليل يقول «ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراءون ...» (متى ٢٣) ، شارحاً أمثلة عديدة من ريائهم وحبهم للمظاهر الخارجية

رأى الرب فى التينة صورة لرياء عصره كله .

رآها صورة للكهنة الذين وضعهم الله ليقودوا الناس فى الخير، فإذا بهم يقودون يهوذا إلى الخيانة، والشهود الى شهادة الزور، وحراس الهيكل إلى الكذب وأخذ الرشوة، كما يقودون الشعب إلى التآمر والضلال... فقال عنهم مثل الكرامين الأردياء (متى ٢١: ٣٣-٤٣). ورأى فى التينة أيضاً صورة الهيكل الذى جعل للعبادة، وهو من الداخل «جعلوه مغارة للصوص» (متى ٢١: ١٣).

لقد وضع خطايا العالم أمامه فى هذا الأسبوع.

ألم يكن مزمعاً فى هذه الأيام أن يحملها جميعاً. لذلك تأملها جميعها وامتلأت نفسه مرارة بسببها. رأى أمامه الرياء حتى فى أوساط المعلمين والكهنة. لم يجد ثمراً فى الكرمة التى غرسها (أش ٥)، ولا فى الكرامين، ولا فى الهيكل، ولا فى القادة العميان... لذلك جاع أخيراً إذ لم يجد شيئاً يتغذى به. ولكن ماذا نقول عن كل هذا الرياء والفساد الذى رآه؟ لقد لعنه وأدانه حقاً، ولكنه:

سيحمل كل هذا على صليبه، ليغفره للتائبين.

وهذه القبور المبيضة من الخارج، كل من آمن وتاب منها، حمل المسيح كل ما فى داخله من عظام نتنة، ودفع عنه دينه للعدل الإلهى من فوق الصليب...

وأنت يا أخى، أنظر إلى نفسك وافحصها فى هذا الأسبوع:

أترى أنت أيضاً شجرة مورقة بلا ثمر؟!

ألك خدمة ونشاط، وشهرة فى الكنيسة وإسم وسمعة، وقلبك خالٍ من ثمار الروح القدس، خال من محبة الله ومعرفته؟

هل أنت تغطى خطاياك بأوراق التين فلا تظهر.

وقد تكون أوراق التين هذه أعذاراً وتبريرات تحاول أن تغطى بها نفسك. أو قد تكون أسباباً بعيدة عن الحقيقة، تعرف فى داخلك عدم صدقها. أو قد تغطى خطية بخطية أخرى، أو تلصق خطاياك بغيرك وتحمله المسئولية...

إسأل نفسك: هل حياتك ورق أم ثمر؟

قل: ما هو الثمر فى حياتى؟ ما هى ثمار الروح عندى كما شرحها الرسول (غل ٥: ٢٢)؟ وما هى ثمارى فى الخدمة وفى بناء ملكوت الله؟

وعملك الذى بلا ثمر. ما أسباب عدم إثماره؟

هل الدوافع خاطئة؟ هل الوسائل خاطئة؟ هل تعمله بتراخ وتهاون؟

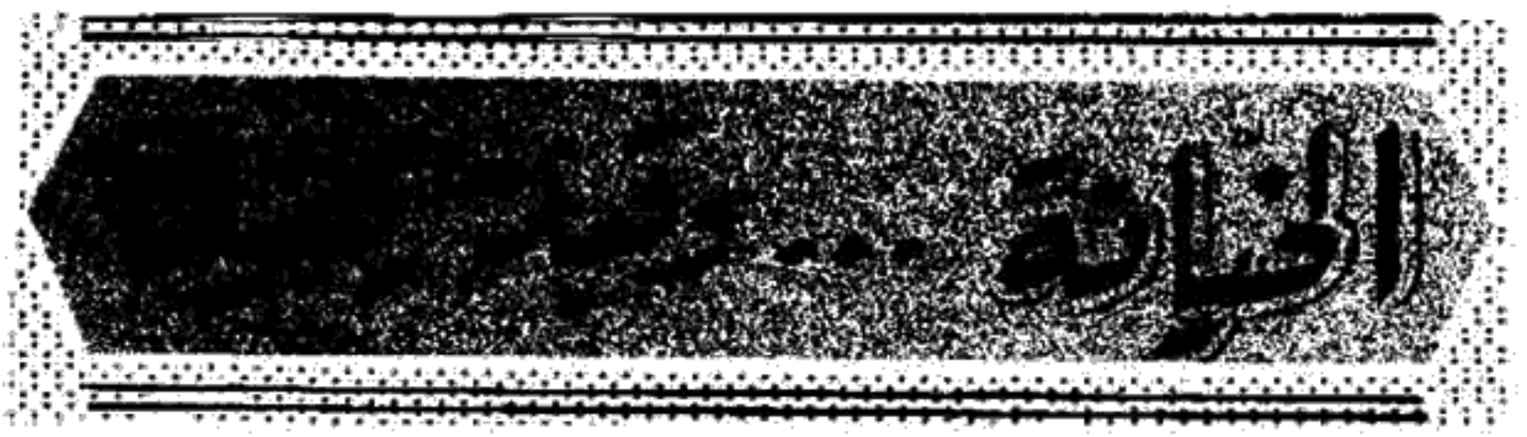

من عشية الأربعاء (مساء الثلاثاء) تمنع القبلة فى الكنيسة ، إحتجاجاً على قبلة يهوذا الخائنة للرب .

و يستمر هذا الأمر طوال الأيام الباقية من أسبوع الآلام إلى ليلة العيد . ففى قداس خميس العهد لا يقول الشماس « قبلوا بعضكم بعضاً » . ولا يقول هذا أيضاً فى قداس سبت النور... كل ذلك لكى تغرس الكنيسة فى أذهان المؤمنين نفوراً من القبلة الخائنة ، ومن خيانة يهوذا لمعلمه...

وتذكاراً لهذه الخيانة نصوم كل أربعاء طوال السنة .

محتجين على التآمر على السيد المسيح ، هذا التآمر الذى اشترك فيه يهوذا أحد تلاميذه بخيانة بشعة . وفى البصخة ينشد المؤمنون كلهم مديحة تبكيت يهوذا .

لقد تركت هذه الواقعة الأليمة أثراً عميقاً فى وجدان الكنيسة .

على أن يهوذا لم يكن هو الوحيد الذى خان المسيح فى تلك الأيام ، فكثيرون قد خانوه . كثيرون من الذين أحسن إليهم ، صاحوا قائلين « أصلبه أصلبه » . فلماذا التركيز على خيانة يهوذا بالذات ؟ ذلك لأن خيانة يهوذا كانت الخيانة الكبرى ، البشعة...

كانت خيانة يهوذا فيها التواء قلب وخداع .

لقد جاء مع الجند ، واقترب إلى المسيح بقبلة . وكانت هذه القبلة علامة بينه وبينهم . و يقول معلمنا مرقس الرسول فى هذا « وكان مسلمه قد أعطاهم علامة قائلاً : الذى أقبله ، هو هو . إمسكوه وامضوا به بحرص » (مر ١٤ : ٤٤) ، « وللوقت تقدم إلى يسوع وقال : السلام يا سيدى . وقبله » (متى ٢٦ : ٤٩) .

حقاً ، لقد ذكرنا يهوذا بشجرة التين التى لعنها السيد الرب :

خضراء مورقة من الخارج . وداخلها عريان بلا ثمر .

كان من الخارج يقبله . ومن الداخل يخونه و يبيعه بالمال ...

من الظاهر كان يسلم عليه . وفى الواقع كان يسلمه لأعدائه...

يقول له « السلام يا سيدى » ! ولا سلام فى قلبه ... ولا هيبة ولا ولاء لسيده هذا . أما كانت تبكته كلمة السلام ، وكلمة سيدى ، كما تبكته قبلته... ؟!

وظهرت وداعة السيد المسيح ، فى أنه لم يمنعه .

كان يعرف كل ما اعتزم يهوذا أن يفعله . ولما اقتربت الساعة - وهو في البستان - قال لتلاميذه « هوذا الذي يسلمني قد اقترب » (متى ٢٦ : ٤٦) . ومع ذلك لم يخجله أمام الجند والحراس . لم يمنعه من الدنو منه ومن تقبيله ... ولم يصفه بكلمة « خائن » ، بل قال له بالأكثر « يا صاحب ، لماذا جئت ؟! » (متى ٢٦ : ٥٠) . وعاتبه في رقة قائلاً « أبقبلة تسلم إبن الإنسان ؟! » (لو٢٢ : ٤٨) .

تبدو خيانة يهوذا بشعة جداً ، لأن السيد المسيح

كان قد أحسن إليه كثيراً من قبل ...

لو كان المسيح قد أساء إليه في شيء ، لاعتبر ذلك إنتقاماً منه وليس خيانة . ولكن معلمه العظيم كان قد أحسن إليه ، وهو يعرف مسبقاً كل شروره ...

يكفي أنه اختاره واحداً من الإثني عشر رسولاً مع معرفته بطبيعته (يو٦ : ٧٠ ، ٧١) .

ومثل باقي التلاميذ ، أرسله ليكرز و يبشر ، وأعطاه معهم سلطاناً على إخراج الشياطين ، وسلطاناً أن يشفي كل مرض وكل ضعف (متى ١٠ : ١) .

ولم يكتفِ باختياره رسولاً ، بل جعل الصندوق عنده .

لم يكن إذن رسولاً عادياً ، بل كان من أصحاب المسئوليات بين الإثني عشر . وكان هو المكلف بأن يعطي من الصندوق للفقراء ، وبأن يصرف منه في احتياجات التلاميذ (يو ١٣ : ٢٩) كشراء احتياجات العيد مثلاً .

ومع أن يهوذا لم يكن يبالي الفقراء ، لأنه كان سارقاً ، وكان يأخذ كل ما يلقى في الصندوق (يو١٢ : ٦) .

إلا أن الرب لم يكشفه في سرقاته ، ولا سحب الصندوق منه .

بل بقي الصندوق معه إلى يوم وفاته . وفي هذه المسئولية لم يجازه الرب حسب أعماله . ومع أن الرب كان يعرف خيانته وتسليمه له ، إلا أنه لم يطرده من تلمذته ، ولم يعزله عن الإثني عشر ، وتركه يجتمع معه ، و يعرف أخباره ...

بل كان وضعه هو وضع المقربين إليه .

كواحد من الإثني عشر ، كان مع المسيح ليلاً ونهاراً ، يتبعه حيثما سار ، وأمام الجميع هو واحد من خاصته ، يعيش معه ، ويأكل و يشرب معه ...

هذا من الناحية العامة . أما من الناحية الخاصة ، فكان مقرباً إليه . كان

قريباً منه جداً على المائدة، حتى يمكن أن يغمس لقمته فى نفس صحفته (متى ٢٦ : ٢٣) :

علامة حب ودالة ، أن يغمس لقمته فى نفس صحفته .

سمح له الرب بهذا ، كمعاملة حب خاصة ، لعله يخجل من هذه المحبة ويرتدع . ولكنه لم يستفد من هذا الحب ، ولا من كونه أكل مع المسيح خبزاً وملحاً . بل انطبقت عليه نبوءة المزمور «الذى أكل خبزى ، رفع علىّ عقبه» (مز ٤١ : ٩)... ولماذا نشرح تفاصيل هذا القرب منه ... ؟...

يكفى أن الرب كان معلمه وكان حبيبه .

لقد باع يهوذا معلمه ، وأباه الروحى ، ومرشده ، وصديقه الذى عاش معه ثلاث سنوات ، يستمع إلى تعاليمه ، ويبصر معجزاته ... ولعله أبصر قبل تسليمه له بخمسة أيام معجزة إقامة لعازر من الموت وإيمان الكثيرين بسببها (يو١١) . ولعله أبصر قبل ذلك بقليل معجزة فتح عينى المولود أعمى (يو٩) .

ولكن ذلك كله لم يؤثر فيه ، ولم يمنع خيانته .

يزيد البشاعة أنه سعى إلى بيع سيده .

لم يأت إليه رؤساء الكهنة لكى يغروه على هذا الأمر ، فقطعاً ما كان يخطر ببالهم أن واحداً من الإثنى عشر يسلم المسيح ! فكم بالأولى هذا المقرب منه !! ... ولكن يهوذا هو الذى ذهب إليهم . إذ يقول الإنجيل فى ذلك عن يهوذا «فمضى وتكلم مع رؤساء الكهنة وقواد الجند كيف يسلمه لهم . ففرحوا وعاهدوه أن يعطوه فضة . فواعدهم وكان يطلب فرصة ليسلمه إليهم خلواً من جمع» (لو٢٢ : ٣-٦) .

والقصة كما يرويها القديس متى الإنجيلى أكثر بشاعة ، إذ يقول «حينئذ ذهب واحد من الإثنى عشر، الذى يدعى يهوذا الإسخريوطى إلى رؤساء الكهنة . وقال لهم : ماذا تريدون أن تعطونى ، وأنا أسلمه لكم؟ فجعلوا له ثلاثين من الفضة . ومن ذلك الوقت كان يطلب فرصة ليسلمه» (متى ٢٦ : ١٤-١٦) .

ما أبشع هذه العبارة : ماذا تعطونى ، وأنا أسلمه ؟ ... !

ولقد باع سيده ، فى خيانته ، بثمن زهيد .

بثلاثين من الفضة ... وكأنه ثمن عبد ... ! وربما يكون السبب فى تقديم هذا الثمن الزهيد ، أنه هو كان يسعى... هو الذى كان يريد أن يبيع ويطلب ثمناً...

لو أن الملايين عرضت عليه ، لقلنا : أغراه المال ... ولم يكن هنا مال يغرى... مجرد ثلاثين من الفضة... تدل على أن المسيح كان رخيصاً جداً فى قلبه وفى فكره....

هنا ونذكر بالإعجاب القديسة مريم أخت لعازر التى سكبت على المسيح زجاجة طيب ناردين خالص ، كثير الثمن ، يبلغ ثمنها حوالى ثلاثمائة دينار (يو ١٢ : ٣ ، ٥) . ولم تبال بالمال فى محبته... وهذا التلميذ يبيعه بثلاثين من الفضة !

واستمر على الخيانة يومين ، ولم يبكته ضميره .

لو حدث الأمر فجأة ، لقلنا إنه لم تكن أمامه فرصة ليراجع نفسه... ولكنه استمر طوال يومى الأربعاء والخميس ، دون أن يفكر فى الرجوع عن خيانته ، بل على العكس « كان يطلب فرصة ليسلمه » (لو ٢٢ : ٦)... على الرغم من كل إنذارات المسيح له .

بدافع الحب ، حاول المسيح تنبيه قلب يهوذا .

لم يتركه الرب فى هذه التجربة وحده ، بل قدم له إنذارات لكى تنبه قلبه حتى لا يسقط . ولعله من بين هذه التنبيهات :

١ - بعد غسل الأرجل ، قال الرب للتلاميذ : أنتم الآن طاهرون ، ولكن ليس كلكم . لأنه عرف مسلمه (يو ١٣ : ١٠ ، ١١) فكان يجب ليهوذا أن ينتبه إلى أنه فقد طهارته...

٢ - فى أثناء عشاء الفصح قال لهم « إن إبن الإنسان ماضٍ كما هو مكتوب عنه . ولكن ويل لذلك الرجل الذى به يُسلم إبن الإنسان . كان خيراً لذلك الرجل لو لم يولد » (متى ٢٦ : ٢٤) . إنذار مخيف ، كان ينتظر أن يخيف يهوذا فيرجع عن خيانته .

ولكن يهوذا لم يتنبه ، ولم يخف ...

٣ - وضيّق الرب الدائرة . فمن قوله « واحد منكم يسلمنى » إلى قوله « الذى يغمس يده معى فى الصحفة هو يسلمنى » (متى ٢٦ : ٢١ ، ٢٣) . ولم يتحرك قلب يهوذا .

٤ - وقال الرب « هو ذاك الذى أغمس أنا اللقمة وأعطيه . وغمس اللقمة وأعطاها ليهوذا » (يو ١٣ : ٢٦) . وهو عمل فى غاية الحب ، كان يمكن أن يرجع

يهوذا عن غيه لو أراد ، وهو يرى الرب بنفسه ، يتلمسه بيده ، وضع اللقمة فى فمه . ولكن يهوذا لم يستفد .

٥ ـ أخيراً قال يهوذا « هل أنا يا سيدى ؟ » أجابه الرب « أنت قلت » (متى ٢٦ : ٢٥) . كان الأمر مكشوفاً . وكان على يهوذا أن يعمل لأبديته ، إذ « خير لذلك الرجل لو لم يولد » .

ولكن يهوذا لم يتب . كان قد دخله الشيطان .

حقاً إنها مأساة ، إذ أوصل نفسه إلى هذه النهاية : أن يسلم نفسه للشيطان . لقد قال الإنجيل إنه « بعد اللقمة دخله الشيطان » (يو ١٣ : ٢٧) . كان قد صمم على تسليم المسيح ، على الرغم من كل تلك التنبيهات والإنذارات ...

٦ ـ فقال له المسيح معاتباً « ما أنت تعمله ، فاعمله بأكثر سرعة » (يو ١٣ : ٢٧) . وكانت فرصة أن يلقى نفسه عند قدمى المسيح ويقول « إغفر لى . لن أعمل شيئاً » ...

ولكنه لم يقدم توبة ... بل يقول الإنجيل « فذاك لما أخذ اللقمة ، خرج للوقت . وكان ليلاً » (يو ١٣ : ٣٠) . خرج فى الليل ، لينفذ ما قد دبر فى الظلام . وهو يعلم تماماً أن المسيح يعرف كل تدبيراته ، وقد أخبره ...

وبخروجه انفصل إلى الأبد عن الرب وتلاميذه .

لم يفصله الرب من جماعة تلاميذه ، ولكنه فصل نفسه بنفسه . إختط لنفسه طريقاً غير طريق الكل ، وانضم إلى أعداء المسيح ، خائناً تتحدث عن خيانته الأجيال .

ما أبشع أن يكون الإنسان مستسلماً تماماً لتوجيه الخطية على طول الطريق ، يقوده ذهن مرفوض ، أو يقوده الشيطان .

على أن الشيطان لم يدخله فقط بعد أن أخذ اللقمة ، بل كان له دخول فيه سابق لهذا ، حينما ذهب ليتفق مع رؤساء الكهنة على تسليم المسيح . وفى ذلك يقول الإنجيل « فدخل الشيطان فى يهوذا ... فمضى وتكلم مع رؤساء الكهنة ... » (لو٢٢ : ٣ ، ٤) .

واحد من الإثنى عشر ، يدخله الشيطان مرتين ! هذه مأساة ...

فليحترس كل إنسان إذن . لقد كان الشيطان يعمل عمله ، حتى مع الإثنى

عشر، يحول كأسد يزأر. ولقد قال الرب لهؤلاء الرسل التعيسين «هوذا الشيطان طلبكم لكي يغربلكم كالحنطة» (لو ٢٢ : ٣١)... نعم، لقد غربلهم. وقد سقط منهم الطين الذى هو يهوذا، وبقيت الحنطة النقية غذاء للعالم كله، تغذى على إيمانهم وكرازتهم.

٧ - أما يهوذا فقدم له الرب لمسة محبة أخيرة.

قال له فى عتاب وحنو، فيما كان يسلمه «يا صاحب، لماذا جئت؟» «أبقبلة تسلم إبن الإنسان؟!». أيليق بك كصاحب أن تسلمنى؟ وتسلمنى بقبلة؟! وكانت آخر عبارة سمعها من فم المسيح... وآخر عشرة معه، إلى الأبد.

وتم القبض على المعلم الصالح. وحوكم وأدين، ودفعوه إلى الصلب.

وأخيراً صحا ضمير يهوذا بعد إدانة المسيح!

كأنه كان فى غيبوبة واستيقظ... وظلت كل كلمات المسيح تدوى فى أذنيه... وتذكر ذلك الجو القدسى الذى عاش فيه زماناً، فى عشرة رب المجد... وتذكر عبارة «أبقبلة تسلم إبن الإنسان؟!» ولم يحتمل...

يقول الكتاب «حينئذ لما رأى يهوذا الذى أسلمه أنه قد دين، ندم ورد الثلاثين من الفضة إلى رؤساء الكهنة والشيوخ، قائلاً قد أخطأت إذ أسلمت دماً بريئاً...» (متى ٢٧ : ٣، ٤).

ندم وقال أخطأت. ولكن بعد فوات الفرصة!

الخيانة قد تمت وانتهى الأمر، سواء ندم عليها أم لم يندم. وندمه لم يمنع من أن يرى نتائج خيانته أمامه، المسيح أمامه مصلوباً... المسيح معلمه، ومرشده، وأبوه الروحى، وصديقه، وسيده... يهان أمامه، ويجلد، ويلطم، ويصلب... بسبب خيانته هو...

كان الندم يعصره، ويحصره ولعله دوت فى أذنيه عبارة قايين «ذنبى أعظم من أن يحتمل» (تك ٤ : ١٣).

ولم يتركه الشيطان لندمه، فجاء يكمل عمله معه.

ربما يقوده الندم إلى التوبة، وتقوده التوبة إلى المغفرة... وربما يلحقه قول المسيح على الصليب «يا أبتاه إغفر لهم، لأنهم لا يدرون ماذا يفعلون»... مع أنه كان يدرى ما يفعل، وقد نبهه المسيح إلى خطورة عمله...

لذلك ألقاه الشيطان إلى اليأس . وباليأس هلك .

وانتهت مأساته بعبارة « مضى وخنق نفسه » (متى ٢٧ : ٥) .

وتحقق قول المسيح « كان خيراً لذلك الإنسان لو لم يولد » .

وهكذا كانت نهاية الخيانة ... وخسر يهوذا كل شيء . خسر المسيح ، وخسر الرسولية ، وخسر الثلاثين من الفضة ، وخسر رؤساء الكهنة الذين قالوا له « ماذا علينا . أنت أبصر» (متى ٢٧ : ٤) . خسر الأرض والسماء . خسر أبديته ، وخسر سمعته . وأصبح وصمة فى تاريخ البشرية كلها ...

ما الذى استفاده من كل خيانته ؟ لا شيء .

أما المسيح فلم يهرب من خيانة يهوذا ، وكان يعرفها ...

بل استقبله فى المكان الذى يعرفه (بستان جثسيمانى) . لم يغيره . وانتظر هناك حتى يأتى مسلمه . وتحمل خيانته فى هدوء . وحولها إلى خلاص للبشر .

وأخرج الرب من ذلك الشر خيراً ...

حتى خيانة يهوذا ... وحتى خيانة الشعب الذى قال : أصلبه أصلبه .

وعلى مر التاريخ ، لم يعد يهوذا مجرد شخص ، وإنما أصبح رمزاً لكل من يسير بأسلوبه . وأصبح إسمه عاراً لكل من يوصف به ...

السيد المسيح لم يعاقبه على الأرض بأية عقوبة . لكنه تركه إلى نفسه . ويهوذا لم يستطع أن يحتمل نفسه . وجدها حقيرة فى عينيه لا تستحق أن تعيش !

ما أقسى أن يحتقر الإنسان نفسه ... !

ربما يحتمل إحتقار الآخرين له . ولكن من هو الذى يستطيع أن يحتمل إحتقاره لنفسه ؟! ولا يهوذا استطاع أن يحتمل هذا . فمضى وخنق نفسه . ومات فى خطيته كقاتل نفس ، وكفاقد للرجاء ، وفاقد للإيمان بالحياة بعد الموت . أما المسيح فقد داس الموت . ولم تضره خيانة يهوذا بشيء ، هذا الذى باعه بثلاثين من الفضة ، تركها للكهنة الذين دفعوها له ، زهيدة مثله ...

كم كان أرخص المسيح ، فى نظر الذين باعوه !

على أن هناك من يبيع المسيح بأقل من هذا الثمن بكثير . والذين هتفوا قائلين « أصلبه أصلبه » ، هؤلاء باعوه بلا ثمن ! لم يأخذوا أى مقابل نتيجة بيعهم له . والأمة اليهودية التى باعته للرومان ماذا أخذت فى مقابله ؟ لا شيء . بل تشتت

سنة ٧٠م. على يد تيطس القائد الرومانى، بعد صلبهم للمسيح بأقل من أربعين سنة. وخرب الهيكل وخربت أورشليم !!

إن الذى يبيع عدوه، ربما يعتذر بأن هذا العدو أساء إليه.

أما الذى يبيع صديقه أو معلمه، فما عذره ؟

إنها خيانة. هنا ويسأل البعض عن الفرق بين بطرس ويهوذا ...

بطرس الرسول أنكر المسيح عن ضعف وعن خوف، ولكن قلبه فى الداخل كان يحبه (يو ٢١ : ١٧). أما يهوذا فلم يكن فى قلبه مثل هذا الحب. ولم يكن فى الخارج أى خطر يهدده بالخوف كبطرس. بل أنه هو الذى سعى بنفسه إلى تسليم معلمه قائلاً فى خيانته «ماذا تعطونى، وأنا أسلمه لكم» (متى ٢٦ : ١٥)...

واليهود أيضاً خانوا المسيح، وطلبوا بدله باراباس.

مع أن المسيح كان يجول بينهم يصنع خيراً... وعلى الرغم من ذلك صلى من أجلهم على الصليب قائلاً «يا أبتاه إغفر لهم»... كانوا منقادين لشر رؤسائهم «لا يدرون ماذا يفعلون». ففغر لمن آمن منهم وتاب...

ما أعجب قلب المسيح ! كان يحب بلا مقابل.

ونحن ننظر إلى السيد المسيح فى كل حبه واحتماله، ونغنى له أنشودتنا المعروفة «لك القوة والمجد والبركة والعزة الى الأبد آمين...».

نحن لا نبيعك مطلقاً، وإن وُضعت كل كنوز الدنيا تحت أقدامنا. بل سنذكر على الدوام أنك اشتريتنا بدمك الكريم.

إن الذين يبيعونك بأى عرض من أعراض الدنيا، إنما يفقدون صورتهم الإلهية، وينزلون إلى مستوى يهوذا المسكين، الذى لما انفتحت عيناه، لم يستطع أن ينظر إلى صورته...

تطلق الكنيسة على أربعاء البصخة إسم أربعاء أيوب.

وربما تسميته بأربعاء أيوب، ترجع إلى سببين :

أ ـ كانت تقرأ فى هذا اليوم سفر أيوب الصديق. وكله قصة ألم.

ب ـ للرموز التى يرمز بها أيوب الصديق فى آلامه إلى المسيح . وهى كثيرة نذكر من بينها :

١ ـ تعرض أيوب الصديق إلى آلام تفوق الوصف . وكذلك المسيح .

٢ ـ كان أيوب رجلاً « كاملاً ومستقيماً ... » بشهادة الله نفسه عنه أكثر من مرة (أى ١ : ٨ ، ٢ : ٣) . وكذلك كان المسيح (بصورة مطلقة طبعاً) والقياس مع الفارق فى كل التشبيهات .

٣ ـ حدثت تجربة أيوب بسبب حسد الشيطان له (أى ١ : ٩ ، ٢ : ٤) .

وكذلك حدثت آلام المسيح بإيعاز من الشيطان ، الذى دخل فى قلب يهوذا (لو ٢٢ : ٣) والذى دخل فى قلوب باقى أعدائه .

٤ ـ أيوب جُرح من أصحابه الثلاثة . والمسيح جُرح فى بيت أحبائه .

٥ ـ تجربة أيوب إنتهت بالخير ، ورد له الله كل ما كان له ضعفاً (أى ٤٢ : ١٠) . والسيد المسيح إنتهى صلبه وموته بالقيامة المجيدة وبخلاص العالم كله ...

ونحن إذ نذكر آلام المسيح ، وآلام أيوب الصديق ، نتعزى فى كل ألم ونعزى الآخرين أيضاً .

الكتب الجديدة المقبلة

يظهر قريباً إن شاء الله ، كتاب

١ ـ سنوات مع أسئلة الناس

الجزء الثانى (بعد شهر تقريباً) وقد أعيد طبع الجزء الأول منه

٢ ـ كتاب حياة التوبة والنقاوة

(بعد شهر آخر) ، ربما فى أواخر يونيو

٣ ـ كما سيعاد طبع كتابين هما :

اليقظة الروحية ، والسهر الروحى